مرجعية الضمير في سورة الجن
(دراسة لُغويَّة)

د / محمد ماهر محمد عبد الرحمن
مدرس النحو والصرف
كلية الآداب - جامعة دمياط

ملخص البحث

يكشف عنوان هذه الدراسة " مرجعية الضمير في سورة الجن دراسة لغوية عن الهدف الرئيس منها وهو بيان الوظيفة التي تضطلع بها الضمائر في الخطاب القرآني ، لما لهذا النص من خصوصية تميزه عما سواه من النصوص ، فبالإضافة لقداسة ذلك النص الكريم ، فإن الضمير فيه يتميز بصلاحية مرجعيته لأكثر من عنصر داخله أو خارجه ، وتخضع هذه الصلاحية لتأويلات المفسرين واجتهاداتهم وفق قرائن سياقية نصيَّة أو مقاميّة .

ولا تقتصر هذه الدراسة على الوظائف النحوية للضمير ، فقد كفتنا كتب اللغة هذه المؤونة ولكن يتسع إطارها ليتجاوز علاقة المرجعية اللغوية بالبنية العميقة للنص القرآني ، والوظيفة التي يؤديها الضمير على مستوى النص ، وليس على مستوى الجملة فحسب.

كما تُبرز هذه الدراسة ملمحاً دلاليا للضمير يتمثل في ظاهرة الالتفات التي وردت بصورة قوية في سورة " الجن " حيث الانتقال من مشهدٍ لآخر داخل النص القرآني ، والتوسل بالضمير في هذا الانتقال ، وأثر هذا الانتقال اللغوي الضميري على البنية الدلالية للسورة ، وتتميز مرجعية الضمير اللغوية في سورة " الجن " بأنها متعددة الإحالات ، حيث انعكس خفاء عالم الجن وإبهامه على كثيرٍ من ضمائر السورة الكريمة من أولها لآخرها .

الكلمات المفتاحية : (سورة الجن / الضمير / المرجعية اللغوية / الالتفات)

The Reference of the Pronoun in Surah Al-Jinn

A Linguistic Study

This study highlights the reference of the pronoun Surah Al-Jinn and the function of all pronouns in the Quranic speech. The Quranic text is very special and unique when compared with other texts not to mention its Holy status. The pronoun in the Quran is marked by its reference validity either from its outside or inside elements. This validity is subject to different interpretations according to textual or contextual evidence.

Moreover, the study is not confined to the aforementioned idea but it extends to the function of the pronoun on the level of the sentence and the text as well. More importantly, it shows a very important connotation for the pronoun, which is the transfer phenomena: moving from one scene to another within the Quranic text and the use of the begging style when moving and how this affects the connotational structure of the Surah. Finally, the reference of the pronoun in Surah Al-Jinn has various referential status where the ambiguity and invisibility of Al-Jinn universe is reflected on many pronouns from beginning to the end of the Surah.

- Key words **(Surah Al-Jinn / Pronoun / linguistic reference / transfer).**

يكشف عنوان هذه الدراسة " مرجعية الضمير في سورة الجن دراسة لغوية عن الهدف الرئيس منها وهو بيان الوظيفة التي تضطلع بها الضمائر في الخطاب القرآني ، لما لهذا النص من خصوصية تميِّزه عما سواه من النصوص ، فبالإضافة لقداسة ذلك النص الكريم ، فإن الضمير فيه يتميز بصلاحية مرجعيته لأكثر من عنصر داخله أو خارجه ، وتخضع هذه الصلاحية لتأويلات المفسرين واجتهاداتهم وفق قرائن سياقية نصيَّة أو مقاميّة .

ولا تقتصر هذه الدراسة على الوظائف النحوية للضمير ، فقد كفتنا كتب اللغة هذه المؤونة ولكن يتسع إطارها ليتجاوز علاقة المرجعية اللغوية بالبنية العميقة للنص القرآني ، والوظيفة التي يؤديها الضمير على مستوى النص ، وليس على مستوى الجملة فحسب.

كما تُبرز هذه الدراسة ملمحاً دلاليا للضمير يتمثل في ظاهرة الالتفات التي وردت بصورة قوية في سورة " الجن " حيث الانتقال من مشهدٍ لآخر داخل النص القرآني ، والتوسل بالضمير في هذا الانتقال ، وأثر هذا الانتقال اللغوي الضميري على البنية الدلالية للسورة ، وتتميز مرجعية الضمير اللغوية في سورة " الجن " بأنها متعددة الإحالات ، حيث انعكس خفاء عالم الجن وإبهامه على كثيرٍ من ضمائر السورة الكريمة ، ويعود السبب في اختيار السورة كمجال للتطبيق إلى :

١) كثرة الضمائر التي اشتملت عليها هذه السورة المباركة ، حيث اشتملت على مائة واثني عشر ضميرًا متنوعة في مواقعها الإعرابية وإحالاتها.
٢) تعدد المرجعية اللغوية لبعض الضمائر في السورة المباركة بأثرٍ من سياق الحال ، واختلاف المفسرين حولها.
٣) دراسة الأثر الدلالي لتعدد المرجعية اللغوية للضمائر، وأثرها في نسج شبكة داخلية تعمل على تسخير أطراف السورة نحو قضية واحدة.
٤) إسهام تنوع الضمائر بين (متكلم / مخاطب / غائب) في إنتاج تراكيب لغوية متوازية.
٥) تَحمُّل الضمير القرآني لأكثر من وجه ، فتارة يعود الضمير إلى الأقرب ، وتارة إلى المتحدث عنه ، وثالثة إلى المسكوت عنه.

٦) غيبة كثير من الشخصيات المحورية في السورة ، والاكتفاء بالإحالة الضميرية إليها أثمر عن تداخل دلالي أكثر من رائع على مستوى البنية السطحية والعميقة للسورة .

- **الكلمات المفتاحية : (سورة الجن / الضمير / المرجعية اللغوية / الالتفات).**

*** مفهوم الضمير وأهميته** :

الضمير لغة من (ض / م / ر) وهما أصلان صحيحان يدل أحدهما على دقة في الشيء ويدل الآخر على غيبة وتستر[١] ، والضمير" فعيل " بمعنى اسم المفعول من أضمرت الشيء في نفسه أن أخفيته أو سترته فهو مضمر " كالحكيم بمعنى المُحكم ، والنحاة يقولون : أنما سُمى بذلك لكثرة استتاره ، فإطلاقه على البارز توسع أو لعدم صراحته كالأسماء المظهرة[٢].

ومصطلح (الضمير) من المصطلحات البصرية ، ويسميه أهل الكوفة (كناية) أو (مكنى) وهو بالمعنى نفسه ؛ إذ أن الكناية تقابل التصريح ، ومنه قولهم : استعارة تصريحية واستعارة مكنية[٣] ، وهو لفظ موضوع ليعين مسماه سواء كأن متكلماً كـ " أنا "و" نحن " أم مخاطباً كـ " أنت أنتما ، أنتم ، أنتن " أم غائباً كـ " هو ، هى ، هما ، هم ، هن " وعليه فأن هذه الألفاظ قد قامت مقام ما يكنى بها عن مسمياتها ؛ لأنه يكنى به (أي الضمير) عن الظاهر[٤].

*** أهمية الضمير :**

تتجلى ميزة الضمير وأهميته من كونه " لا يدل على مسُمى كالاسم وأنما يعمل على تعيين مسماه ولا يدل على موصوف بالحدث ، ولا على حدث ، وزمن كالفعل " [٥].

---

(1) ابن فارس : مقاييس اللغة ٣/٣٧١.

(2) فاضل السامرائي : معاني النحو ١/٤٢.

(3) ينظر : أبو حيان الأندلسي ، ارتشاف الضرب ١/٢٦٤ ، السيوطي : الهمع ١/٢٢٣ ، الأزهري : شرح التصريح ١/٣١٩.

(4) عباس حسن : النحو الوافي ١/٢١٧.

(5) صفية مطهري : الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ، صـ ٢٠٤.

والضمائر تأتى في مقدمة أدوات الربط التي تعمل على ربط العناصر اللغوية وغير اللغوية بعالمٍ أوسع وأكبر وهو عالم الخطاب ؛ لأن عودها إلى مرجع يغنى عن تكرار لفظ ما رجعت عليه و هو الأمر الذي يحقق نوعاً من الاقتصاد اللغوي مادام اللبس مأموناً.

كما يعتبر الضمير من أبرز العلامات اللغوية التي تربط المقال بالمقام ؛ لأنه ينطوي على ازدواجية صريحة ، فهو كُلى في اللغة جزئي في الكلام : فـ (أنا) أو (أنت) أو (هو) ضمائر يمكن أن يقولها أي شخص فتعيِّنه بذاته ، وهذه الازدواجية التي يحملها الضمير تسمح لنا أن نميز بين الضمير والشخص ، فالضمير هو الملفوظ اللغوي في صيغه المعروفة (أنا / أنت / هو) والشخص هو المعنى الخارجي ، والعلاقات اللغوية الداخلية هي التي تحدد الضمير، والعلاقات اللغوية الخارجية هي التي تحدد الشخص[١] ؛ والوظيفتان الداخلية والخارجية التي يقوم بهما الضمير لا يقوم غيره بهما لأنه يتدخل في التركيب الدلالي الداخلي للجملة ، ومن ناحية أخرى يُشرك الجملة في العلاقات العابرة التي تُكوِّن النص[٢].

*** الضمير في النص القرآني** :

تتميز الضمائر في النص القرآني ـ عن غيره من النصوص ـ بأنها تقوم بوظائف لغوية ودلالية متعددة ، فتارة تربط السابق باللاحق وهي بذلك تقوم بوظيفتها اللغوية الأساسية ، وتارة تحيل إلى دلالات وعوالم أخرى خارج النص المقدس لتظهر وظيفتها الدلالية ، وتتكئ في هذه الوظائف على القرينة اللغوية أو المقامية بصورةٍ أساسية ، فـ" الضمير يعود على الأقرب ويجوز مع القرينة أن يعود على الأبعد"[٣] كما أن العناصر الضميرية في النص القرآني ـ على اختلاف أشكالها وتعدد مرجعياتها ـ تُسهم بصورةٍ قوية في نسج شبكة من الروابط الداخلية بين أجزاء النص على مستوى بنيته السطحية ، وأخرى خارجية تظهر في إحالات هذه الضمائر تكشف عنها البنية

---

(1) سعيد الغانمي : أقنعة النص ، صـ٥٠،٥١.

(2) أوزوالد ديكروجان : القاموس الموسوعي ، صـ ٤٩١.

(3) محمد عبد الخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢٣/٨.

العميقة ، كما أنها تعزز البعد التواصلي التأثيري لهذا النص العظيم ، كما يضطلع الضمير في السياق القرآني بعملية الربط المحدد بالمقصدية السياقية وتعزيز بنية التعدد ، وبخاصة عندما تتعدد المرجعيات اللغوية للضمائر بما لا يتعارض مع سياق الحال وهو الأمر الذي يجعل من النص القرآني نصاً منفتحاً على كثيرٍ من التأويلات ، وصالحاً للعديد من التفسيرات ،" فعلى الرغم من ثبات النص إلا أن عملية التلقي تتسم ـ بلا شك ـ بالتغيُّر الدائم ، فكل عملية تلقٍ جديدة تعني ارتباط التأويل بملابسات سياقية جديدة "[١].

وقد ظهرت دراسات حول أهمية الضمير ومرجعيته في القرآن الكريم ، منها :

١) دراسة " دريد حسن أحمد صالح " بعنوان " عود الضمير في القرآن الكريم "[٢] وتناول فيها مواضع عود الضمير على الأقرب والأبعد باعتبار القرينة ، وعود الضمير على المضاف وعلى المصدر ، وعلى ما ليس مذكوراً في الكلام لدلالة المعنى عليه ، ولم تتعرض الدراسة للضمير في سورة الجن من حيث الوظيفة أو الدلالة .

٢) دراسة " أسعد عبد العليم " بعنوان " من مشكل عود الضمير في القرآن الكريم "[٣] ، وتناول فيها عطف الظاهر على الضمير في القرآن ، وتوكيد الضمائر ، وتعرض لأوجه عود الضمير ولم يتعرض لسورة الجن في مجال تطبيقه.

وهناك دراسات أخرى عرضت لمرجعية الضمير في بعض سور القرآن الكريم مثل :

١) دراسة عبد المهدي الجراح وآخرين بعنوان" العناصر المرجعية (الضميرية) في سورة الكهف دراسة نصية وظيفية " [٤].

---

[1] عيد بلبع ، التداولية صـ٢٤.

[2] بحث منشور بمجلة مداد الآداب /ع٢ / مجلة علمية محكمة فصلية تصدر عن كلية الآداب / الجامعة العراقية ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

[3] بحث منشور بمجلة جامعة كركوك ، ع٢ / المجلد ٤ /٢٠٠٩م

[4] مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع٣ ، المجلد٣٥ /عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية ٢٠٠٨م.

ولم أقف على دراسة تناولت مرجعية الضمير اللغوية في سورة الجن ـ على وجه الخصوص وعرضت لأثرها الدلالي ، بيد أني وجدت بحثاً منشوراً على الشبكة المعلوماتية بعنوان (التداخل الدلالي في سورة الجن) للباحثين : عواد كاظم لفتة ، ومسلم هوني حسين ، وفيه يتناولان التداخل الدلالي للضمائر في سورة الجن دون ذكر مرجعياتها ، وآراء العلماء حولها ، وأثر القرائن في توجيهها ، ويقع في سبع صفحات فقط [١] ، فهو تناول من باب الإشارة وليس من باب التفصيل .

(مرجع / معاد) الضمير :

المرجع : هو مجموعة ألفاظ محددة تعود على عناصر لفظية أو مقدرة[٢] ، ويجب التمييز بين المرجع والعناصر المرجعية ، فالمرجع هو الكل والعنصر المرجعي هو جزء ، فالمرجع هو حصيلة التفاعل العلائقي الحاصل فيما بين العنصر المحيل والمحال إليه ، "والعناصر المرجعية : مثل الضمائر تعد بمثابة المؤشرات التي لا تُعرف إلا عن طريق علاقاتها بمراجعها" [٣].

ومعرفة مرجعية الضمير وإحالته تمنح مستقبِل النص قدرةً على فهم الشيء المحال عليه ، وتحقق ثلاث وظائف :

الأولى: الإشارة إلى ما سبق أو إلى ما سيلحق من ناحية .

والثانية : التعويض عنه بالضمير أو ما يدل عليه من ناحية أخرى .

والثالثة : الإسهام في تحقيق الاتساق النصي، والضمائر بمختلف أنواعها ذات فاعلية في تحقيق هذا الترابط من خلال المرجعيات الإحالية بين أجزاء النص كبنية كبرى وبنياته الصغرى الوظيفية ؛ لأن كل الضمائر التي تتكاثف وتتنامى في الجسد النصي (أنا) المتكلم و(أنت) المخاطب ، و(هو) الغائب ومتعلقاتهم عائدة إشارية ذات وظيفة اتساقية باعتبار هذا النص معطى لغوياً متماسكاً في ذاته ، فاللاحق منه يؤدى إلى ما سبق ذكره لما له من علاقة تبعية وتعلق وارتباط

(1) مجلة أوروك للأبحاث الإنسانية /ع٣ / المجلد الثالث / جامعة المثنى / العراق/ أيلول ٢٠١٠.

(2) سعيد بحيرى : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، صـ٨٠:٨٥.

(3) شولز : السيمياء والتأويل ، صـ ١٧.

بالسابق في بعض الحالات ، والسابق يؤدى إلى اللاحق باعتبار أن له نفس العلاقات مع ما سيلحق في النص ، فيدل كل واحد على الآخر ؛ لأنه مهما كان نوع الضمائر فلابد من شيء يفسرها (مرجع) في النص ويوضح معناها، والمراد منها[١] حتى تتحقق دلالة النص وتناغمه.

وقد اتفق النحاة على أن الضمير يحتاج إلى ما يفسره ، وقد يفسر مفرداً وقد يفسر جملة[٢] وبخاصة ضمير الشأن الذي يتقدم على الجملة فتكون الجملة خبرا له[٣] ، فالموقعية بين الضمير (العائد) ومرجعه (المفسر) المحال إليه على وجه العموم في المواضع التي يحتاج فيها إلى الضمير رابطاً ثابتة يلزم فيها الضمير ومعه ما يتصل به (المرتبط الذي يربط الضمير بمرجعه ، التأخر عن المرجع إذا الضمير ومرجعه يلعبان دورهما في حفظ الرتبة ، كما أن الضمير يربط بين ما يتصل به أو ما يقع الضمير في حيزه وبين مرجع الضمير[٤].

وقد فصَّل النحاةُ أحوالَ الضمير مع مرجعه على الصور الآتية[٥]:

١) التقدم اللفظي :

وفيه يُذكر المرجع قبل الضمير ذكراً صريحاً سواءً أكان من حيث المعنى متقدماً أو لا ، فالأول كقولهم : (ضرب زيدٌ غلامه) ؛ لأن الفاعل من حيث المعنى مقدمٌ على المفعول ، والثاني نحو قولهم : (ضرب زيداً غلامُه) فإن المرجع هاهنا متقدم في اللفظ ، وهو متأخر في المعنى ؛ لأن المفعول من حيث معناه متأخرٌ عن الفاعل[٦].

---

(1) عباس حسن : النحو الوافي ٢٥٥/١.

(2) ابن يعيش : شرح المفصل ١١٠/٣.

(3) السابق ١١٨/٣.

(4) أوزوالد ديكروجان مارى شايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسانيات ، ترجمة منذر عياش، صـ ١٤٧.

(5) الأشمونى وشرحه على ألفية ابن مالك (هوامش الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد) ١٩٩/٢.

(6) الرضي الإستراباذي : شرح كافية ابن الحاجب ٩/٣ ، الأشموني : شرح الأشموني ١٩٩/٢.

٢) التقدم المعنوي :

وفيه لا يكون مرجع الضمير مصرحاً بتقديمه بل هنالك شيء آخر يقتضى كون مرجع الضمير متقدماً في الذكر على موضع الضمير في الجملة ، وهذه المقتضيات تتلخص فيما يلي [١]:

أ) كون مرجع الضمير فاعلاً ، إذ أن الفاعلية تقتضى أن يكون الفاعل متصلاً بالفعل[٢] ، نحو قوله تعالى :(وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ) (البقرة : ١٢٤)

ب) كون مرجع الضمير مبتدأ ؛ إذ إن الابتداء يقتضى أن يكون المبتدأ قبل الخبر ، نحو قولهم في داره زيد "[٣].

ج) كون مرجع الضمير مفعولاً أولاً ، والمتصل به مفعولاً ثانيا ، فكون الاسم مفعولاً أولاً يقتضى أن يكون متقدماً في اللفظ عن المفعول الثاني ، نحو قولهم : أعطيته درهمه زيداً ، ومنه قول العرب : في بيته يؤتى الحكم[٤].

د) كون مرجع الضمير مصدراً ذكر فعله قبل الضمير ، نحو قولهم : اجتهد يكن خيراً لك ، ومنه قوله تعالى :(ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ)"[٥]. (المائدة :٨)

هـ) أن يكون سياق الكلام مستلزماً لمرجع الضمير استلزاماً قريباً أو بعيداً ، فمثال الأول قوله تعالى : (يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ

---

(1) الأشمونى : شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ٢/٢٠٠.

(2) السابق نفسه.

(3) الرضي الإسترابادى : شرح الكافية ٣/١٠.

(4) السابق ٣/١٤.

(5) الرضي الإسترابادى : شرح الكافية ٣/٩ ، الأشموني : شرح الأشموني ٢/١٩٩.

ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ ..." (النساء : ١١) ، ومثال الآخر قوله تعالى :

(فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ) [١] (ص :٣٢)

و) أن يكون مرجع الضمير مصدراً لذكر الوصف المشتق من قبل الضمير ، نحو :

إذا زجر السفيه جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف

فأن الضمير في قوله (إليه) عائدٌ إلى السفه المفهوم من قوله (السفيه) [٢].

٣) التقدم الحُكمي :

" وفيه يكون مرجع الضمير متأخراً في اللفظ ، وليس هنالك ما يقتضى تقدمه على محل ذلك الضمير كما كان ذلك في التقدم المعنوي ، إذ إن التقدم المعنوي الأصل فيه أن يكون معه شيء يقتضى تقدم المرجع كرتبة المرجع في الكلام مثلاً ، أو الحدث أو السياق في حين أن هذا النوع من التقدم لا يكوِّن مع الكلام شيء يقتضى تقدم الضمير سوى الضمير نفسه بناءً على أن الأصل فيه أن يكون مرجعه متقدماً "[٣] ، وينحصر هذا النوع من التقدم في خمسة أنواع من التراكيب النحوية أجازها النحاة بالإجماع هي : (الضمير المفسر بخبره ، الضمير المفسر بالمبدل منه ، الضمير المرفوع بأول المتنازعين ، والضمير في باب (نعم وبئس ، وما يجرى مجراهما) والضمير المجرور بـ (رُبَّ)[٤].

---

[1] الرضي الإسترابادى : شرح الكافية ١١/٣ ، السيوطي : الهمع ٢٦٣/١.

[2] السيوطي : الهمع ٢٦٣/١.

[3] ابن فارس : مقاييس اللغة ٣٧١/٣.

[4] ينظر : ابن هشام ، شرح شذور الذهب ١٧٧/٢ ، السيوطي : الهمع ٢٦٩/١-٢٧٢ ، الأشموني : شرح الأشموني ٢٠٢/٢.

وهذه الأحكام أصدرها النحاة على الضمير بصورته العام ، أما الضمير فقسمان : ضمير الحضور ، وضمائر الغيبة ، ولكل منهما فروع ، فضمائر الحضور هي أنواع ثلاثة : المتكلم / المخاطب / الإشارة ، أما ضمائر الغيبة فقد تكون ضمائر شخصية ، وقد تكون موصولة[١] ، وقد أشار ابن مالك إلى هذا في ألفيته ، بيد أن ابن مالك وشارحي الألفية لم يصلوا بهذا التعريف إلى نهايته المنطقية ، يقول ابن مالك :

فما لذي غيبة أو حضور كانت وهو سمٍّ بالضمير

وهو ما يعنى أن الموصول أحد أنواع الضمير الذي يعنى كل ما دلَّ على حضور أو غيبة[٢].

واختار البحث دراسة الضمير ـ دون غيره ـ من العناصر الإحالية لبروز دوره بقوة في تعدد مقاصد الخطاب في سورة الجن ، واختار سورة الجن المباركة مجالًا للتطبيق لخصوصية الدور الذي يضطلع به الضمير فيها ، فقد أسهم سياقا السورة (اللغوي / المقامي) في نسج شبكة مرجعيات مخصوصة للضمائر الواردة بها ؛ وبخاصة أن هذه السورة تدور حول عوالم خفية ، يعجز العقل البشري عن وضع تصورٍ لها فضلًا عن الحديث حولها ، ومن ثَم لم تستطع الضمائر وحدها أن تنهض بالكشف عن مسارب الخطاب المتعدد في هذه السورة ، وإنما اتكأت على السياق بنوعيه ، لتقبل اجتهادات شتى من المفسرين ، وتأويلات متعددة من المؤولين ، ليكشف هذا الملمح عن عظمة ذلك النص وقداسته من ناحية ، ويؤكد أن " المؤشرات اللغوية ـ الضمائر ، وأسماء الإشارة ، والظروف الزمانية والمكانية ... تتحدد مدلولاتها الدقيقة في ضوء عناصر المقام والعبارة التي ترد فيها هذه المؤشرات " [٣] من ناحية أخرى ، ويجعل من الأهمية

---

(1) ينظر : تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٠٨ ، الخلاصة النحوية صـ٨٩ ، مصطفي الغلاييني : جامع الدروس العربية ٨٨/١.

(2) تمام حسان : الخلاصة النحوية ، صـ٩١.

(3) حسن شاهر : علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية ،صـ١٦٧،١٦٨، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان ٢٠٠١م.

إلقاء الضوء على هذه السورة وما يكتنفها من سياقات وأسباب للنزول لرسم صورة كلية لها تسهم في الكشف عن مقاصد المرجعية اللغوية للضمائر الواردة بها .

*** سورة (الجن)**

أطلقت عليها كتب التفسير سورة (الجن) ، وترجم لها البخاري في كتاب التفسير بـ "سورة قل أوحى إلى" ، وهى مكيةٌ بالاتفاق ، نزلت في حدود السنة العاشرة من البعثة ، ويرتبط نزولها بحادثة استماع الجن إلى الرسول ﷺ ، قال ابن عباس : " انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ بنخلة وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، وذكر ابن إسحاق أن نزول هذه السورة كان بعد سفر الرسول ﷺ إلى الطائف يطلب النصرة من ثقيف ، فاستمع إليه الجن ، ورجعوا إلى طائفتهم فقالوا : " إنا سمعنا قرآنا عجبا " وأنزل الله على نبيه " قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن "[١].

وبدراسة سبب نزول هذه السورة يمكن الوقوف على كثير من المرجعيات اللغوية للضمير فيها حيث تعددت المرجعيات لتعدد أوجه الخطاب من (الله / الرسول / الجن) ومن ثَم فلا سبيل للكشف عن المرجع إلا من خلال الإحاطة بالظروف والأحوال التي ترافق الكلام ؛" وذلك لأن الجملة خاضعة لمناسبات القول وللعلاقة بين المتكلم والمخاطب ، ولا يتم التفاهم في أية لغة إلا إذا روعيت تلك المناسبات ، وأُخذت العلاقة بين أصحابها بنظر الاعتبار"[٢].

*** الأغراض العامة للسورة** [٣]:

١) إثبات الكرامة للنبي ﷺ بأن دعوته عامة وقد بلغت إلى جنس الجن.

٢) إبطال ما يعبده الجن وما يعتقدوه.

٣) إبطال الكهانة وبلوغ علم الغيب إلى غير الرسل الذين يطلعهم الله على ما يشاء.

---

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ص ٢١٧– ٢١٨.

(2) مهدي المخزومي : في النحو العربي نقد وتوجيه ، صـ ٢٥٥.

(3) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ص ٢١٧.

٤) إثبات أن لله خلقاً يُسمون " الجن " وأنهم أصناف منهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك.
٥) تضليل الذين يتقولون على الله ما لم يقله ، والذين يعبدون الجن وينكرون البعث.
٦) إنذار مَن يعادون النبي ﷺ ، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

*** مرجعية الضمير في سورة الجن** :

أولاً : ضمير الشأن :

يختلف الحال في مرجعية ضمير الشأن عن غيره من الضمائر ؛ إذ يُعتبر ضمير الشأن – كما ذكر النحاة ، وأكدته الأبحاث اللسانية – هو العائد ، والجملة المفسرة له هي مرجعه ، ويسميه بعض الكوفيين بـ (العماد) ، ومنهم الفراء ، حيث يقول في قوله تعالى :(فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) (الأنبياء : ٩٧)

تكون (هي) عماداً يصلح في موضعها (هو) [١] ، "واعتبر الدكتور شوقي ضيف أن تسميته بـ (العماد) من قبيل التوسع في المصطلحات"[٢] ، كما أطلقوا عليه ضمير المجهول ، أو ضمير القصة ، أو ضمير الحديث ، وسُمى كذلك لأنه يرمز للشأن أي للحال التي يراد الكلام عنها ، ولابُد له من جملة تفسره وتُوضح مدلوله ، وتُزيل إبهامه ، وتبسط تركيزه ، فتقديم الضمير في هذا النوع من التراكيب ليس إلا تمهيداً لهذه الجملة الهامة ؛ لأنه يتضمن معناها تماماً ، ومدلوله هو مدلولها :" فهو بمثابة رمز لها أو لمحة أو إشارة توجهه إليها"[٣].

وقد أجمع النحويون على أن ضمير الشأن يدل على تفخيم الأمر وتعظيمه ، قال ابن جني:"اعلم أن الغرض بإضمار الشأن والقصة في (كان) هو أن يُبهم على المخاطب الحال ،

---

(1) الفراء : معاني القرآن ، ٢/٢١٢.
(2) شوقي ضيف : المدارس النحوية ، ص ٢٠٠-٢٢٧.
(3) عباس حسن : النحو الوافي ، ١/٢٥٠.

لتتوفر دواعيه على معرفتها ؛ لأن الإنسان يبحث عن علم ما أبُهم عليه فحينئذ يكون أقرب إلى فهمه وأكثر ما يكون هذا الإضمار في الزجر والوعظ والوعيد والإيعاد وما جرى هذا المجرى "[١].

وقد أكد الرضي هذا التفسير بقوله : " ... القصد بهذا الإفهام ثم التفسير : تعظيم الأمر وتفخيم الشأن فعلى هذا لابد أن يكون مضمون الجملة المفسرة شيئاً عظيماً يُعتنى به ، فلا يقال : هو الذباب يطير "[٢].

وقد ورد ضمير الشأن على حالتين في سورة الجن (مذكوراً / محذوفاً).

أ) **ضمير الشأن مذكوراً** ، وورد في خمسة مواضع في السورة المباركة :

١- (قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ....) (الجن :١)

٢- (وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا....) (الجن : ٣)

٣- (وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا...) (الجن : ٤)

٤- (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ...) (الجن : ٦)

٥- (وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ...) (الجن : ١٩)

ففي قوله تعالى : (قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ....) اتفق القُرَّاء على فتح الهمزة والضمير للشأن[٣] ؛ لأن في ذلك زيادة اهتمام بالخبر الموحى إليه ، وفصَّل الزجاج المسألة بقوله "والذي يختاره النحويون في هذه السورة أن ما كان من الوحي قيل فيه : (أن) بالفتح ، وما

---

(1) ابن جني : اللمع في العربية ، ص ٩٩ ، وينظر : شرح الأشموني ، ٢٠٥/٢.

(2) الرضي : شرح الكافية ، ٤٦٥/٢.

(3) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، صـ٢١٩ ، القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، ٨/١٩ ، الزمخشرى ، الكشاف : ٢٢٢/٦ ، النسفي ، مدارك التنزيل صـ ٤٨٥ ، الآلوسي : روح المعاني ٨٢/٢٩.

كان من قول الجن قيل فيه: (إن) " بالكسر معطوفاً على قوله تعالى: (سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا")[١] (الجن :١) ، وتشترك الآيات الخمس السالفة في أن سياقاتها تدل على تعظيم المراد منها ، ومن ثَم جاءت مسبوقة بضمير الشأن ، ووليتها الجملة المفسرة لها ، وهذا يشير إلى عظمة مضمون تلك الجملة ؛ ذلك أن الشيء إذا أضُمر ثم فُسِّر كأن ذلك أفهمُ له ، وأوضحُ من أن يُذكر من غير أن يتقدم من دون مضمر ، واتفاق المفسرين على فتح الهمزة في قوله تعالى :

(أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ) فيه من العظمة ما فيه ؛ لأن هذا من كلام الوحي الذي يُضفي الجلال والعظمة على هذا الحدث بالنسبة للنبي ﷺ وهو ما قصده الضمير المستتر وجوباً في (قل) كما ورد الفعل (أوحى) مبنياً للمجهول زيادة في تعظيم الشأن وتفخيمه ، فالعظمة لهذا الحدث تنعكس على مستقبليه الثلاثة (الرسول ﷺ / الجن المستمعين / قريش) من عدة أوجه ، أجملها الرازي بقوله :

١) أن يعرفوا (قريش) أنه عليه السلام كما بعُث إلى الأنس فقد بعُث إلى الجن.
٢) أن يُعلِم قريشاً أن الجن – مع تمردهم – لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا بالرسول.
٣) أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالإنس.
٤) أن يُعلِم أن الجن يستمعون كلامنا ، ويفهمون لغاتنا.
٥) أن يُظهر أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان.

وفي كل هذه الوجوه مصالح كثيرة إذا عرفها الناس[٢].

وهذه الطاقات الدلالية التي أفسحها ذكر ضمير الشأن تُبرز مزية مرجعيته وأهميتها ، سيَّما أنه الضمير الأول المؤسِس لبنية السورة الكريمة ، والجامع لبقية ضمائرها ، فهو بمثابة عنصر الجذب الذي تتلاقى لديه بقية ضمائر السورة، فكل ما ورد فيها أنما هو من جُملة الوحي ،

---

[1] ينظر : ابن الجوزي ، زاد المسير ٣٧٨/٨ ، الزمخشرى ، الكشاف ٢٢٢/٦.
[2] الرازي : مفاتيح الغيب ١٥٣/٣٠.

كما أن ذكره في صدرها أغنى عن تكراره ، فبعد عدة آيات تتنوع فيها مسارب الخطاب القرآني وتتعدد اتجاهاته تأتى آيات أخرى معطوفة على ضمير الشأن، (وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ) (الجن : ١٦) (وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ..) (الجن : ١٨) [١] ، فبالرغم من حذف الضمير في الآيتين إلا أن ذكره في صدر السورة أغنى عن تكراره وسطها وآخرها ؛ لأن التنبيه المستمر والطرق المتوالي على جلال الأمر ربما أفقده العظمة في النفوس ، ولم يكن له من الأثر الجليل والمردود القوى كما يكون لحذفه (والله أعلم).

كما أن اختلاف المفسرين في نسبة المواضع الأخرى إلى الوحي السماوي ، أو إلى كلام الجن لا يتنافي مع الأهمية البالغة التي أضفاها ذكر ضمير الشأن فيها ، ويظهر ذلك جلياً عند الوقوف على هذه الآيات الكريمة.

ـ فقوله تعالى : (وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ...) (الجن : ٣) قُرئت بالكسر على قراءة نافع[٢] فتكون عطفاً على (إِنَّا سَمِعْنَا) فيكون ذلك من كلام الجن ، كما قُرئت بالفتح على قراءة أبى جعفر[٣] فتكون عطفاً على (أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ) فيكون الكلام من جملة الوحي ، والأمر في الحالتين يقتضى التعظيم فبالكسر يكون من قول مؤمني الجن عندما سمعوا كلام الله من رسوله ﷺ وأثار فيهم الأعاجيب فأدركوا الخطأ الذي كان بعقيدتهم ، والباطل الذي اعتنقوه حين نسبوا لله – جهلاً – صاحبه أو ولداً ، ويأتي تركيب (تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا) ليؤكد هذه الحقيقة ، فالعلو من مقتضيات التعظيم و" الجَد : هو الحظ الأكمل من السلطان القاهر والطبقات العلية والعظمة"[٤].

---

(1) ينظر : الزمخشرى ، الكشاف ٢٢/٦ ، النسفي ، صـ ٥٥١، ٥٥٢ ، الآلوسي : روح المعاني ، ٨٢/٢٩.

(2) ينظر : الطبري ٦٤٩/٢٣ ، ابن عطية ، التفسير ٤٢٥/٨.

(3) السابق نفسه.

(4) ابن عطية ، التفسير ٤٢٥/٨.

وربما قصدوا بـ " الجَد " أبو الأب ، ويكون هذا من قولهم عن جهالة[١] ، وهو قول عظيم وإفك أثيم (أيضا) ، وقد اعترض الطبري على هذا التأويل بقوله : " وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة ، وذلك أنهم قد قالوا :(فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا) ومن وصف الله بأن له ولداً أو جداً أو هو أبو أب أو أبو أم ، فلا شك أنه من المشركين[٢].

والجامع بين التأويلين – والله أعلم – مع بعد الرابط بينهما هو ضمير الشأن (أنه) الذي أشارت مرجعيته اللاحقة إلى عظمة الأمر ، وخطورة هذا الاعتقاد الفاسد ، فمقام الله وسلطانه وعزته وغناه أعظم المقامات ، والله – جل وعلا – ينزه نفسه عن هذه الأباطيل ، كما أن ادعاء الجن بأن لله صاحبه أو ولداً أو جداً إفكٌ عظيمٌ ، وبهتان أثيم.

ـ وفي قوله تعالى :(وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا) (الجن : ٤) اتفق المفسرون على أن كسر الألف في (أنه) أبين ، وفتحها لا وجه له إلا إتباع العطف على الضمير كأنهم قالوا : " وآمنا الأن بأن سفيهنا كان قوله على شططا "[٣] ، وفي هذا استعظام للحدث والشأن الذي وقع فيه سفيههم وهو (إبليس) على أرجح الأقوال[٤].

ـ وفي قوله تعالى :(وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا) (الجن :٦) ، إشارة إلى عظمة الأمر ، حيث خوف الأنس العظيم من الجن واستعاذتهم بهم واللجوء إليهم وصرفهم إليه من التقديس والتعظيم مالا يجوز أن يصُرف إلا الله – جلَّ وعلا.

---

(1) الماوردى : النكت والعيون ١١١/٦.

(2) الطبرى ٦٥١/٢٣.

(3) ابن عطية ، المحرر الوجيز ٤٢٥/٨.

(4) السابق نفسه.

ـ ويشي قوله تعالى :(وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) (الجن:١٩) بأهمية مقام الدعوة إلى الله – جل وعلا – وعظيم هذه المنزلة التي يكشفها تعدد مرجعية الضمائر في الآية الكريمة – كما سيظهر ذلك في موضعه من البحث في قوله تعالى : (كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) حيث تلبُّد الجن أو المشركين ، واجتماعهم عليه ﷺ وهو يتلو القرآن.

ويتميز ضمير الشأن في سورة الجن بأنه يقوم بوظيفيتين مهمتين :

الأولى : تتمثل في وظيفته الأصلية التي ورد لأجلها وهى تفخيم الحدث وتعظيمه من خلال الإبهام والتعمية على المتلقي ، ثم الإيضاح والشرح والتفسير.

الأخرى : تغييب أجزاء مضمونية من عناصر السرد القصصي في السورة بقصدية واضحة محكمة ولعل الغرض منها ـ والله أعلم ـ إشراك المتلقي في التأويلية النصية لأحداث السورة[١] ، فأمر استماع الجن وكلامهم ثم انعكاس ما سمعوه على عقيدتهم يفوق خيالات المتلقي وتصوراته ويُفسح له ميداناً رحبا يتسع لكثير من التأويلات ، ويظهر ذلك التغييب في المواضيع الآتية :

١) أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ← تغييب وإبهام للغة الجن وطريقة السماع لديهم وحاسته.

٢) وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ← تغييب حدود هذا العلو ومقداره وفق اعتقاد الجن.

٣) وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ← تغييب شخص السفيه الذي أثار عنصر الريب والشك في الله.

٤) وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ ← تغييب ماهية أولئك الرجال والدافع في اعتقادهم هذا.

[1] عواد كاظم ، ومسلم هوني : التداخل الدلالي في سورة الجن ، صـ ٤.

٥) وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ← تغييب الموصوف ، والاكتفاء بالصفة حتى مع اتفاق غالبية المفسرين أن المعنى بـ (عبد الله) الرسول ﷺ ، وأن الله – جل وعلا – شرَّفه بأرفع مقام و أسناه (العبودية) ؛ إلا أن إبهام الموصوف حدا ببعض أهل التفسير أن يعتقدوا أن المقصود بـ (عبد الله) في الآية الكريمة نبي الله (نوح عليه السلام).

وهاتان الوظيفتان (التعظيم والإبهام) لضمير الشأن أنتج التداخل بينهما في سورة الجن ـ وما تحمله من حديث مليء بالعجائب عن عالم خفي ـ طاقات دلالية فسيحة ، كما تركتا طرفاً من أطراف النسج الدلالي بيد المتلقي في اتساق ونظم بديعين يُسبى العقول ، ولا يشُعر المتلقي أن هناك تغييبًا في النص ، فيبدو لنا عالم الجن وكأنه حاضرٌ نراه ونتلمس عالمه ، بينما هو في الحقيقة غائب.

ب) ضمير الشأن محذوفاً في السورة :

ورد ضمير الشأن محذوفاً في خمسة مواضع في سورة الجن ، هي :

١) قوله تعالى : (وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا...) (الجن : ٥)

٢) قوله تعالى : (وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا...) (الجن : ٧)

٣) قوله تعالى :(وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا..) (الجن:١٢)

٤) قوله تعالى : (وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ....) (الجن : ١٦)

٥) قوله تعالى : (لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ ...) (الجن : ٢٨)

والجامع بين الآيات السابقة أمرانَ :

الأول : حذف ضمير الشأن في هذه الآيات مع (أن) المفتوحة ، وهو ما ذكره ابن هشام بقوله " أما (أن) المفتوحة إذا خففت بقيت على ما كانت عليه من وجوب الأعمال لكن يجب في اسمها ثلاثة أمور :

- أن يكون ضميراً لا ظاهراً.
- أن يكون بمعنى الشأن.
- أن يكون محذوفاً.

ويجب في خبرها أن يكون جملة لا مفرداً ، فإن كانت الجملة اسمية أو فعلية فعلها جامداً أو فعلية فعلها متصرف وهو دعاء لم يحتج إلى فاصل يفصلها من (أن) [١] وذلك لشبههما بالأسماء فكأنها لم يأت بعدها إلا الاسم[٢].

الآخر : وجود فاصل بين أن وما بعدها ، وقد ذكر النحويون أن الفاصل يكون بعدة حروف هي حروف التنفيس (قد ، لا ، لم ، لن) [٣]، فضلاً عن (لو) ، قال ابن عقيل : " وقلَّ من ذكر كونها فاصلة من النحويين[٤]" ، وفصل سيبويه السبب في وجود الفاصل بقوله : " واعلم أنه ضعيف في الكلام أن تقول : (قد علمت أن تفعل ذاك) ولا (قد علمت أن فعل ذاك) حتى تقول : سيفعل أو قد فعل وتنفي فتدخل (لا) ؛ ذلك أنهم جعلوا ذلك عوضاً مما حذفوا من (أنه) فكرهوا أن يدعوا السين أو(قد) إذ قدروا على أن يكون عوضاً" [٥].

واتفق المفسرون في هذه الآيات على اعتبار " أن مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن محذوف[٦] ، وذكر " ابن السرَّاج " أنهم استقبحوا أن يلي (أن) المخففة الفعل إذا حذفت الهاء وأنت تريدها، كأنهم كرهوا أن يجمعوا على الحرف الحذف ، وأن يليه ما لم يكن يليه ... "[٧].

---

(1) ابن هشام : شرح قطر الندى ، ص ٢٣.

(2) ابن هشام : شرح جمل الزجاجي ٤٣٧/١.

(3) عبد القاهر الجرجاني : المقتصد في شرح الإيضاح٤٨٤/١،٤٨٥.

(4) ابن عقيل : شرح ابن عقيل على الألفية ٣٨٨/١ ، ابن هشام : شرح شذور الذهب ، صـ ٢٨٣.

(5) سيبويه : الكتاب ١٩٠/٣.

(6) العكبرى : التبيان في إعراب القرآن ، صـ ١٢٤٤.

(7) ابن السرَّاج : الأصول ٢٣٩،٢٤٠/١.

ولعل التعظيم الذي ورد في هذه الآيات هو ما حدا بهؤلاء اللغويين والمفسرين إلى اعتبار (أن) مخففة من الثقيلة.

ـ فقوله تعالى : (وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا...) يوحى باستعظام الظن من هؤلاء النفر المؤمنين من ناحية ، واستعظام الجرُم الذي اقترفه أولئك المتقولون كذباً على الله قال ابن عاشور : " وفي هذه الآية إشارة إلى خطر التقليد في العقيدة "[1].

ـ وقوله تعالى : (وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا...) فيه من الخطر العظيم ما لا يخفي من جحد وإنكار الرسالة وكفران الصلة بين السماء والأرض.

ـ وقوله تعالى : (وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا..) يوحى بالغرور والصلف والإعجاب ، واستعظام قوتهم مقابل قوة الله عز وجل.

ـ وقوله تعالى : (وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ....) يوحى بتعظيم أمر الاستقامة على طريق الحق لنيل سعادة الدنيا والآخرة ، فالاستقامة تستلزم مجاهدة النفس وقمعها عن الأهواء ، وهو الحال الذي تستعظمه النفوس ، وتُجلِّه العقول.

ـ وقوله تعالى : (لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ ...) يبرز عظمة الرسالة فهي من عند الله – جل وعلا – كما يعُظم شأن تبليغها ، ويُعظم قدرها بإرسال الله – جل وعلا – الرصد والحفظة بين يدي مبلغيها.

ويلاحظ على هذه الآيات عدا قوله تعالى : (وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ....) ورود " أن " المخففة مسبوقة بفعل يدل على الرجحان أو العلم ، يقول سيبويه : " كأنك قلت قد حسبت أنه لا يقول ذاك ، وإنما حسنت – هاهنا – لأنك قد أثبت هذا في ظنك كما أثبته في عقلك ، وأنك

[1] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٢٤/٣٠.

أدخلته في ظنك على أنه ثابت الآن كما في العلم ... وإنما منع خشية أن تكون بمنزلة خلت وظنت وعلمت إذا أردت الرفع أنك لا تريد أن تخبر أنك تخشى شيئاً قد ثبت عندك[١].

وهذا ما أكده المبرد بقوله : " وللثقيلة أفعال ، وللخفيفة أفعال سواها ، فإن أردت الثقيلة مع الفعل الماضي دخل منه العوض (قد) فقلت : " قد علمت أن قد ذهب زيد " ، أي أنه قد ذهب أمَّا ما كان منه العلم فإن (أن) لا تكون بعده إلا ثقيلة ؛ لأنه شيء قد ثبت واستقر ، وذلك قولك : " قد علمت أن زيداً منطلق " ، فأن خففت فعلى إرادة التثقيل والإضمار ، تقول : " قد علمتُ أن سيقوم زيد" تريد أنه سيقوم زيد ، وقال الله – عز وجل : (عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ)(المزمل : ٢٠) لأنه شيء قد استقر ، ألا ترى أنه لا يصلح : علمت أن يقوم زيد ؛ لأن (أن) الخفيفة إنما تكون لما لم يثبت ، نحو : خفت أن تقوم يا فتى ، وأرجو أن تذهب إلى زيد ، لأنه شيء لم يستقر فكل ما كان من الرجاء والخوف فهذا مجازه"[٢].

والآيات التي وردت فيها (أن) المخففة من الثقيلة متبوعة بـ (لن) هي :

١) ظننا + أن + لن + تقول الإنس والجن على الله كذبا.

٢) ظننتم + أن + لن + يبعث الله أحداً.

٣) ظننا + أن + لن + نعجز الله في الأرض.

ولعل السبب – والله أعلم – في تكرار هذا النمط المتوازي في سياق السورة الكريمة أن التركيب فيها يتصدره (ظن) التي تحمل معنى اليقين ؛ ليشير إلى أن هذا الظن قد وقر وتمكَّن في نفوسهم فهو وإن كان خطأ وجهلاً في الحقيقة إلا أنه صار لديهم عقيدة لفرط جهلهم ، ويؤكد هذا ملازمة (أن) المخففة (ولن) في هذه المواضع ، وما تتميز به من تخليص الفعل للاستقبال ونفيه نفياً مؤكداً[٣].

---

(1) سيبويه : الكتاب ٣/١٨٩، ١٩٠.

(2) المبرد : المقتضب ٣/٤،٥.

(3) ينظر : الرضي : شرح الكافية ٤/٣٤ ، ابن يعيش : الشرح المفصل ٥/٣٩.

فقد استعظمت الجن أن يتقول كافرهم الكذب على الله ، ويصير ذلك ديناً لهم كما بلغ بهم الظن حد إلىقين والاعتقاد أن ليس هناك حياة أخرى بعد حياتهم ولن يبعث الله أحداً ، قال ابن عاشور: " وفيه تعريض بالمشركين بأن فساد اعتقادهم تجاوز عالم الإنس إلى عالم الجن "[١].

كما أيقنوا أنهم لن يعجزوا الله في الأرض ، وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم[٢]. وهذا يشير إلى خصيصة من خصائص الأسلوب القرآني البديع في سورة الجن المباركة فـ " أن " المخففة مقرونة بـ " لن " بعد فعل من أفعال الرجحان أشارت إلى الاعتقاد الجازم واليقين القوى في الأمر ، ولم تشر إلى ما لم يثبت أو يستقر كما يدل معناها الأصلي.

وفي قوله تعالى : (وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ....) وقعت " لو " بعد " أن " المخففة من الثقيلة ، وهى بمعنى " أنه " أي أوحى إلى أن هذا الشأن[٣].

واختلف النحاة حول الفصل بـ " لو " بين " أن " والفعل ، قال ابن عقيل : " وقلَّ من ذكر كونها فاصلة من النحويين " [٤] ، وهى كالسين وسوف [٥].

ولعل تخريج الآية – فيما أرى والعلم عند الله ـ باستخدام أداة الفصل " لو "منحت هذا التركيب مجالاً فسيحاً ينعكس – دلاليا على الضمير المستكن في (استقاموا) حيث إفساح المجال لهم في العودة إلى طريق الحق والاستقامة عليه متوسلاً في ذلك بأسلوب الشرط المثير للذهن لمعرفة الجزاء حال وقوع الفعل ، فالله ـ جلَّ وعلا ــ حليمٌ على عباده يفسح لهم باب التوبة والإنابة إليه من خلال أساليب الترغيب والترهيب لتتحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة ، ومن ثم وقع الفصل بـ " لو " في هذه الآية دون سواها من آيات السورة المباركة ، بينما تظل بقية التراكيب السالفة تدول

---

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير، صـ ٢٢٦.

(2) النسفي : مدارك التنزيل ، صـ ٥٥١.

(3) السابق نفسه.

(4) ينظر : ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على الألفية ٣٨٨/١ ، ابن هشام شرح شذور الذهب ، صـ ٢٨٣.

(5) السمين الحلبي : الدر المصون ١٢٢/١٤.

حول قضايا عقائدية لا تقبل إفساح مساحة للحوار أو المناقشة ؛ لأنها تدور حول أساس الاعتقاد الذي يقتضي التسليم. (والله أعلم).

*** المرجعية اللغوية لضمير المتكلم في سورة (الجن) :**

يُعد الضمير أعرف المعارف (الضمير / اسم الإشارة / الاسم الموصول / المعرف بـ الأداة / المضاف إلى أحد المعارف السابقة) [١] ، وتختلف درجة معرفة الضمير باختلاف أنواعه " فضمير المتكلم أعرف من ضمير المخاطب ، وضمير المخاطب أعرف من ضمير الغائب "[٢] ويحتل ضمير المتكلم المرتبة الأولى في سورة الجن – بين الضمائر ، مع ما يتميز به من تنوع وتعدد في مرجعياته اللغوية ، وتعدد أنماط وروده في السورة المباركة ، فتارة يرد الضمير (نا) الحاضر للمتكلمين في الآيات مشفوعاً بالفعل الماضي (سمعنا/ آمنا / ظننا / وجدنا / كُنا) ، وتارة يقترن بحرف الجر مثل (بربنا) ، وقد لازم ضمير المتكلم معظم نص الحكاية ، وقدم محتويات دلالية مثيرة ظهرت في بنية تركيبية اعتمدت على تداخل دلالي في نسق جديد أدى إلى تداخل الأصوات في فضاء النص ناتجاً من تداخل دلالي واضح في استعمال الضمائر[٣].

وقد ورد ضمير المتكلم ثلاثين مرة في السورة المباركة ، اتفق المفسرون على المرجعية اللغوية لثمانية وعشرين ضميراً فيها ، واختلفوا حول مرجعيته في موضعين هما :

الموضع الأول :

قوله تعالى :(وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا) (الجن : ٤)

---

(1) ابن هشام : شرح شذور الذهب ١٧٤-٢٠٢.

(2) ابن هشام : شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص ٩٦.

(3) عواد كاظم لفتة ومسلم هوني حسين ، التداخل الدلالي في سورة الجن ، صـ١.

حيث ذهب فريق منهم إلى أن الضمير في (سَفِيهُنَا) يعود على (إبليس) [١] ؛ لأنه كان يلقنهم صفات الله بما لا يليق ، وذهب الفريق الآخر إلى أن المقصود عُصاة الجن[٢]. وزاد (أبو حيان) أنه اسم لكل سفيه [٣]ويمكن الجمع بين هذه الآراء ؛ إذ لا مجال للتعارض فيها (والله أعلم) فإبليس كان من الجن ثم عصى الله (جل وعلا) وهو عَلم على جميع السفهاء ، قال تعالى :(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ) (الكهف : ٥٠)

الموضع الآخر :

قوله تعالى : (وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ..) (الجن : ١٠)

ذهب الشوكاني – رحمه الله – إلى أن الضمير المستتر في (ندرى) يعود على (إبليس) [٤].

وذهب الفراء إلى أن هذا من كلام كفرة الجن [٥]، والعلاقة بين المرجعين ـ والله أعلم ـ علاقة الخاص بالعام ، فـ (إبليس) رأس كفرة الجن كما أن القرآن الكريم وصفه بـ " الكبر والغرور" الذي يتلاءم مع الضمير (نحن) المستكن في (ندرى) وهذا ما يجعل المرجعين يلتقيان في بؤرة واحدة.

وتتميز المرجعيات اللغوية لضمير المتكلم في سورة الجن بأنها مرهونة بالغيبيات في أغلب مواضعها ، والإحالة إلى هذا العالم الخفي بشخوصه وأحداثه وعقائده ، ويزداد النص روعة وجلالة حين يتحدث عن عالم أكثر قداسة وهيبة من عالم الجن ، إذ يتحدث عن عالم السماء بما فيه من

---

(1) ينظر : البغوي ، معالم التنزيل ٢٣٨/٨ ، ابن عاشور : التحرير والتنوير ، صـ ٢٢٣ ، الماوردى : النكت والعيون ، صـ ١١٠ ، أبو حيان ، البحر المحيط ٣٤١/٨.

(2) الماوردى : النكت والعيون ، صـ ١١٠.

(3) أبو حيان : البحر المحيط ٣٤١/٨.

(4) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٠٦/٥.

(5) الفراء : معاني القرآن٩٣/٣.

ملكوت تعجز الأبصار عن تخيله ، فهو عالم خفي يمسك البشر بأحد أطرافه من خلال الخبر النبوي الصادق عنه ، ومن ثم ينسج ضمير المتكلم الذي يعود تارة إلى (الجن) حيث أساس النص وبؤرته ، وتارة إلى (الله) جل وعلا حيث صوت الحكاية ، وتارة إلى الرسول ﷺ ، حيث وسيلة القص والربط الحسي بين عالمين خفيين ، يأتي ضمير المتكلم لينسج شبكة الترابط بين هذه الأطراف الثلاثة على النحو الآتي :

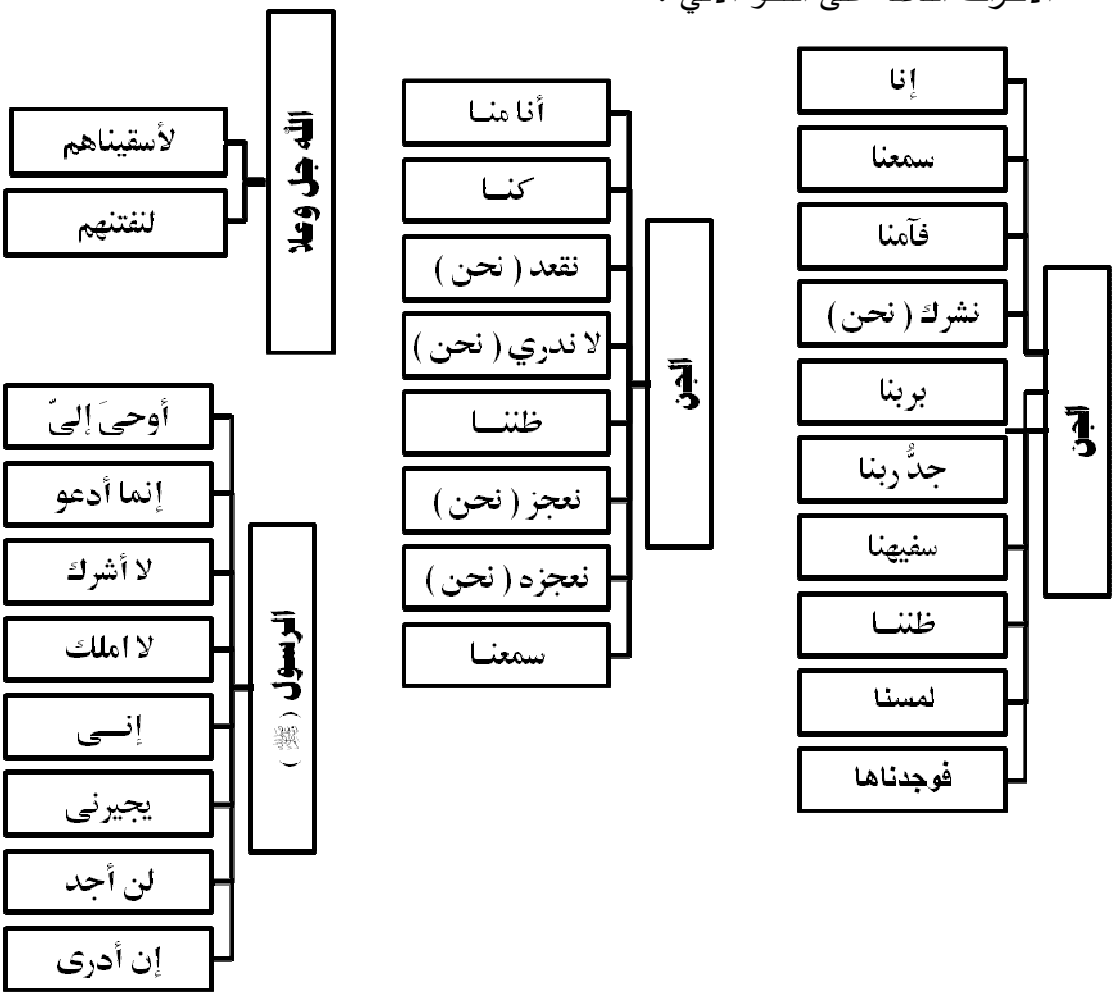

أن ترتيب ضمائر المتكلم في سورة الجن يلقى بدلالات رائعة . تظهر في انتقال الحوار من (الجن) إلى (الله) جل وعلا ، ثم إلى الرسول (ﷺ) ، ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يلي :

أولاً : أفاد ضمير المتكلم عند الجن أمرين :

الأول : الترتيب (سمعنا ← فآمنا ← لن نشرك) فقد استمعت الجن – أولاً – إلى القرآن ثم آمنوا به ، وتخلصوا من أوشاب علائق الشرك الذي خالط قلوبهم ، كما أن اقتران الضمير بالفعل في (سمعنا / آمنا) يوحى بالتلبس بالحال ، فقد باشروا السماع بأنفسهم كما باشروا الإيمان ، وتأتى غيبة الضمير في (نشرك) لتلقى بدلالة غيبة الشرك عن عقولهم وقلوبهم بعد أن عاينوا صدق الإيمان وروعته ، ليظهر الضمير مرة أخرى مقترناً بالاسم (بربنا) وفيه من معاني التعظيم والتقديس والتنزيه ما لا يخفي على المتأمل.

(وأنا لمسنا السماء ← فوجدناها ملئت حرسا شديدا)

فقد توهموا أنهم لمسوا السماء وعاينوها ، فوجدوها مملوءة حرسا شديدا وشهبا ، وقد أفاد الضمير المقترن بالفعل (لمسنا / وجدنا) الجانبين الحسي والمعنوي ، فاللمس من الحواس والإيجاد مرحلة تالية له ، وكأن الجن أرادوا أن يتحدثوا عن طاقتهم وما دار بخيالاتهم أنهم يستطيعون ملامسة السماء واستطلاع خبرها ، وهو ترتيب بين الحواس أثمره اقتران الضمير .

(وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ← ولن نعجزه هربا). إن تكرار الضمير في (نعجز) مع اتحاد الفاعل في الحالين يشي بأن ثمة معنى خفي يريده المتكلم ويظهر ذلك من التوازي الجملي المكرر لفظا ومعنى (لن نعجز الله ، لن نعجزه) وهو الترتيب المكاني، والانتقال من عالم المشاهدة ذي الإطار المحدود (الأرض) إلى عالم اللا محدود (الهرب).

الآخر : التأكيد

(آمنا ← لن نشرك) ، فالاعتراف بالإيمان يقتضي نفي الشرك ، فقد أفاد العطف تأكيد الفكرة .

*** ضمير المتكلم عند الذات العليا**

يلتقي ضميرا المتكلم المحيلان إلى (الله) – جل وعلا – مع المرجعيات الدلالية للضمائر المحلية إلى الجن في السورة ، وهذا يبرز ملمحاً جمالياً في النص القرآني ، حيث يفرد مساحة واسعة للحوار بين الجن وبعضهم وبين الرسول – ﷺ – وبينهم ، ثم يأتي الصوت السماوي ليشد أجزاء النص المتناثرة حول بؤرة واحدة يريدها تتلخص في أمرين.

← (لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا) (الجن :١٦)← أن استقاموا على طريق الحق والخير والصلاح.

← (لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ) (الجن :١٧) ← إمَّا بالخير لنستدرجهم أو بالشر لنهلكهم أن أعرضوا عن طريق الحق.

ويلتقي ضمير المتكلم للذات العليا مع نسق السورة في الطرق المستمر على الضمير (نا) وكأن الله – جل وعلا – يقول لهم : أنه لا يستحق العظمة ولا الكبرياء سواي ، والذي يثير الدهشة أن صوت الجن يختفي في السورة بعد هذه الآية ليظهر صوت جديد هو صوت الرسول ﷺ الذي يتحدث مأموراً مكلفاً ، فلا يرد ضميرٌ للمتكلم ـ في السورة ـ يحيل إلى الرسول ﷺ ، إلا وهو مسبوقاً بفعل الأمر (قل).

*** ضمير المتكلم عند الرسول ﷺ :**

تلتقي إحالة ضمير المتكلم لدى الرسول ﷺ بالقضايا الرئيسة التي تحدث عنها الجن في بداية السورة ، كما يبرز صوت الرسول ﷺ متكئاً على فعل الأمر (قل) الذي يقرر رسالته ونبوته وأنه ﷺ يبلغ ما يوحى إليه ، ولا يتحدث من تلقاء نفسه ويظهر ذلك في :

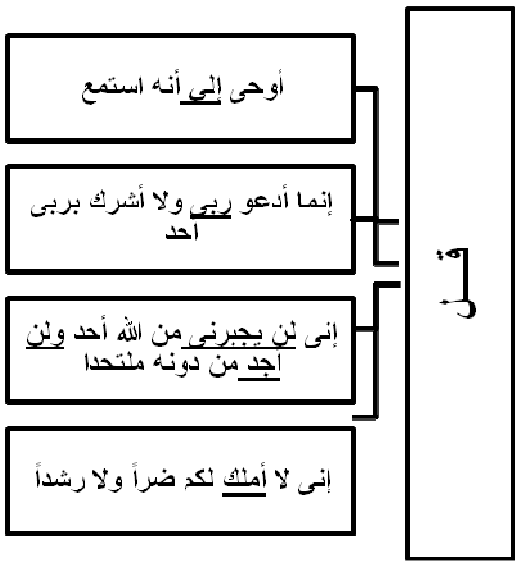

ويلاحظ أن المواضع التي ظهرت فيها ضمائر المتكلم المحيلة إلى الرسول ﷺ تتصدر بأدوات التوكيد ، فتارة بالفعل (أوحى) الذي يفيد معنى العظمة لقوى خفية لا تدركها عقول السامعين ، وتارة بأداة القصر (أنما) ، وتارة بالحرف (أن) وكأن القضايا التي يبرزها الضمير تحتاج إلى تثبيت وتأكيد في عقول السامعين ، أو أن النص القرآني استشعر إمكانية إنكار هؤلاء السامعين – وهو ما حدث من بعضهم – لاستماع الجن أو لدعوة الرسول الكريم ﷺ ، أو يدعى أن له مجير من العذاب أو يملك النفع أو الضر ، فبادر لقطع هذه التخيلات ودفع تلك الأباطيل بهذا الأسلوب.

*** المرجعية اللغوية لضمير المخاطب (في سورة الجن) :**

تبدو سمة الحضور والخطاب من اللفظ الأول في السورة المباركة ، فالضمير المستتر وجوباً في الفعل (قل) يلقى الضوء على قدسية الخطاب ، وقد وردت مرجعية ضمير الخطاب في سورة الجن على نمطين :

الأول : المرجعية المباشرة للضمير ، حيث لا يحتمل الضمير أكثر من عائد فيها ، واختصت هذه الحالة بالرسول ﷺ لأنه الوسيلة الرابطة بين أطراف السورة كما أنه لا رسول غيره من البشر يمكنه أن يقوم مقام التبليغ للثقلين ، ومن ثم جاءت المرجعية محددة في هذه المواضع.

- قل أوحى إلى / قل أنما أدعو ربى / قل أني لن يجيرني / قل أني لا املك لكم.

حيث يعود الضمير عوداً مباشراً إلى الرسول ﷺ مقترنا كما سبقت الإشارة بما يدل على التأكيد ويجمع بين الآيات السابقة أهمية القضية التي تعرض لها ، فالآية الأولى أساس السورة وقاعدتها التي بنيت عليها جملة الأحداث الأخرى ، وما تلاها من آيات يقرر عقيدة التوحيد ، وبشرية الرسول ﷺ.

الآخر : المرجعية غير المباشرة للضمير، وفيها تنفتح مرجعيات الضمير لأكثر من مرجع وهذا الانفتاح يقصد إليه النص إمَّا للتعمية والإبهام على المستقبِل ، وإما للشمول والعموم ، وإما لإثارة ذهن المتلقي ، ومن ذلك في السورة المباركة :

١) قوله تعالى : (وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا) (الجن : ٧)

فالضمير في قوله (ظننتم) تتعدد مرجعياته اللغوية إلى أكثر من مرجع :

- فقد يعود إلى الكفار من الإنس[١] ، وبهذه المرجعية فإن الضمير يقيم اتفاقاً بين عالمي الجن والإنس في العقيدة الباطلة التي اعتقدوها وهي أن ليس ثمة نبوات أخرى أو رسل وبذلك تصبح المسألة عقيدة عامة ومنتشرة ، فكما كفر أولئك الجن بنبوة محمد ﷺ كفر نظراؤهم من الإنس.
- ويحتمل أن يعود الضمير إلى (الجن) [٢] ، وبهذه المرجعية ، فأن الضمير يجعل الظن مقصوراً على عالم الجن فقط ، ويبرز العقيدة الباطلة التي توارثها أفراد هذا العالم حول حقيقة إرسال رسول آخر.

---

[1] ينظر : الزمخشرى : الكشاف ٦٢٣/٤ ، البغوى : معالم التنزيل ٢٣٩/٨.

[2] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص ٢٢٦.

- ويحتمل أن يعود الضمير إلى (مشركي مكة) [١] ، وبهذه المرجعية فإن الضمير يلقى الضوء على فئة بعينها من البشر (مشركي مكة) أسلموا قيادهم الفكري والعقائدي إلى عالم الجن ، فليس التشابه موجوداً بينهما في إنكار الرسالة فقط ، ولكنه تشابه ناتج عن الطاعة والإذعان لهذه القوى الخفية التي منحها كفار مكة هالات من العظمة والتقديس لم يمنحوها لغيرهم ، وهذا ما يبرز وجهاً للفرق بين عود الضمير إلى الكفار من الإنس على وجه العموم – وإلى مشركي مكة على وجه الخصوص.

٢) قوله تعالى : (قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا) (الجن : ٢١)
الضمير في " **لكم** " تعددت مرجعياته اللغوية ، واحتمل مرجعيات عدة :

- فيحتمل أن يعود إلى المشركين أو للجن ، ويجوز أن تكون الآية من حكاية الجن لقومهم فإن كان الخطاب لمشركي الإنس فإنهم لما تلبدوا بعداوة النبي ﷺ قيل له ـ عليه الصلاة والسلام ـ قل لهم : " إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ، أي ما أردت إلا نفعكم وقابلتموني بالإساءة ، وليس في استطاعتي النفع الذي أردت ، ولا الضر الذي أكافئكم به إنما ذلك إلى الله ، وأما إن كان الخطاب للجن فالوجه أنهم لما تلبدوا لذلك ، قيل له عليه الصلاة والسلام قل لهم : مالكم ازدحمتم على متعجبين منى ومن تطامن أصحابي على العبادة[٢].

وفي ظني أن الضمير يصلح أن يشمل كل الأوجه السابقة – والله أعلم – فالقرآن للإنس والجن على السواء والرسول ﷺ مبعوث للثقلين كليهما ، وهذا ما يجعل الضمير محتملًا المرجعين وصالحًا لهما ولا يقتصر على فئة من المخاطبين دون أخرى ، والسياق اللغوي يقوى هذا الرأي فصوت الرسول ﷺ ورد في السورة بعد نهاية حديث الجن وتحذير الكفار من الجن والإنس على السواء وترغيبهم في سلوك طريق الاستقامة والخير (وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ) وهذا ما يجعل الضمير صالحًا للفريقين.

---

[1] السابق نفسه.

[2] ينظر : الألوسي : روح المعاني ٩٤/٢٩ ، الزمخشري ، الكشاف ٦٣١/٤.

- قوله تعالى : (وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا) (الجن : ١٨)

تعددت مرجعية ضمير الخطاب المستكن في (تدعوا) على النحو الآتي :

ـ يحتمل أن يكون المرجع هو الرسول ﷺ والمسلمون معه ، فقد كانت إليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه والمسلمين أن يوحدوا الله وحده[١]. وذلك إن كان المقصود بـ " المساجد " في الآية الكريمة أماكن العبادة.

ـ ويحتمل أن يكون المرجع شاملًا كل من يعبد الله دون تخصيص، قال ابن جبير: المساجد هي الأعضاء التي يسجد العبد عليها وهى سبعة (القدمان والركبتان واليدان والوجه) وهذا القول اختيار ابن الأنباري ، قال : لأن هذه الأعضاء هي التي يقع السجود عليها وهى مخلوقة لله تعالى فلا ينبغي أن يسجد العاقل عليها لغير الله تعالى[٢]، وعلى هذا القول فمعنى المساجد مواضع السجود من الجسد ، واحدها " مسجد " بفتح الجيم.

ـ ويحتمل أن يكون المرجع " الجن " ، ويكون الخطاب من باب التوجيه والتعليم لهم ، والسياق يحتمل هذا الرأي ، وبخاصة أن السورة ذكرت في صدرها استعانتهم بالإنس أو استعانة الإنس بهم في قوله تعالى : (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا) (الجن :٦) ، وقد ذكر الأعمش هذا الرأي : " إن الجن قالت يا رسول الله ائذن لنا نشهد معك الصلاة في مسجدك فنزلت هذه الاية[٣]. ويظهر من سياق الآية الكريمة أن الضمير في (لكم) يحتمل هذه الأوجه السالفة ، فهو يشمل الرسول ﷺ ويكون الخطاب له من باب تأكيد الإخلاص

(1) ينظر الطبرى : تفسير الطبرى ٦٦٥/٢٣ ، ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٤٠/١٥ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٦.

(2) ينظر الرازي : مفاتيح الغيب ١٤٤/١٦ ، الآلوسي روح المعاني ٩٠/٢٩.

(3) الماوردى : النكت والعيون ، صـ ١٢٠.

في الدعوة إلى الله – جل وعلا – ، ولصحابه من باب التوجيه ، وللجن لما سبق منهم من استعانة وسؤال لغير الله ، فجاء النهى لهم عن دعاء العبادة والمسألة (والله أعلم) [١].

* قوله تعالى : (قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ) (الجن : ٢٥)

تعددت مرجعيات الضمير النائب عن الفاعل في قوله (**توعدون**) لأكثر من مرجع ، كالآتي :

ــ فقد يعود إلى مشركي مكة[٢] ، ويكون المقصود العذاب أو الهلاك الذي وعدهم الله إياه إن أعرضوا عن ذكره والذي ذكره في الآيات السابقة :(وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) (الجن : ٢٣)

ــ وقد يشمل كافة المخاطبين من الإنس والجن ، ويكون الموعود هو " الساعة "[٣] ، على اعتبار أنها الموعود الأعظم الذي تنتظره الخلائق وأخفاها الله تعالى عن الجميع.

ويظهر من المرجعيات غير المباشرة لضمير المخاطب أنها لعبت دوراً بارزاً في قضايا السورة المباركة ، حيث تعددت المرجعيات لضمير المخاطب إما .

- بعد الشك (كما ظننتم)
- بعد النفي (لا أملك لكم / إن أدرى أقريب ما توعدون)

ودار الشك والنفي حول قضايا تمس العقيدة لدى الجن أو الإنس أو كليهما معاً ، فلكثرة المستقبلين المقصودين من النص تعددت مرجعيات الضمائر ، بينما تظل المرجعية ثابتة ولازمة مع فعل الأمر (قل) لأن الموحى إليه واحد لا يقبل التعدد (والله اعلم).

---

(1) السعدي :تيسير اللطيف المنان ، صـ ١٨٩٥.

(2) الطبرى : جامع البيان ، ٦٧٤/٢٣.

(3) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٦/١٩.

*** المرجعية اللغوية لضمير الغيبة (في سورة الجن):**

يرى تمام حسان أن :" ضمير الغائب يكون في قوة الاسم الظاهر ، ومن ثم يصبح الاسم الظاهر مرجعاً له في سياق الكلام "[١] ، وتمتاز سورة الجن بأن كثير من ضمائر الغيبة فيها ليس لها مرجع في سياق السورة فقط ، ولكنها تتعدى إلى مرجعيات وعوائد خارج إطار السورة بأثر من قرينة الحال ، ومن المعلوم أن ضمير الغائب لا يتم معناه الذي وضع له في الجملة العربية إلا إذا تقدم مرجعه عليه ، وذلك لأنه إنما وضع على أن يكون معرفة لكن ليس بنفسه بل بسبب ما يعود عليه فإن ذكرناه في الجملة ولم نقدم له مرجعاً يعود عليه بقى مبهماً منكراً لا يُعرف المراد منه ، وتنكيره خلاف وضعه[٢].

وقد تكون المرجعية اللغوية لضمير الغائب محددة لا تقبل التعدد ، وقد تكون غير محددة حيث يحتمل الضمير فيها أكثر من وجه ، فيصلح أن يحيل لألوان شتى من المرجعيات المتاحة في النص وفق ما يقتضيه السياق ، وبما لا يتعارض مع وظيفته الأساسية في الربط بين أجزاء النص فالمعلوم أن لضمير الغائب مرجعاً واحداً ، فإن تعدد ما يصلح لذلك ، واقتضى المقام الاقتصار على واحد تعيَّن أن يكون المرجع الواحد هو الأقرب في الكلام إلى الضمير ... وإذا كان للضمير مرجعان أو أكثر مع التفاوت في القوة ، وجب أن يعود على الأقوى ، وإن كان من غير تفاوت فالأحسن عودة الضمير على الجميع لا الأقرب ولا الأقوى، نحو: " جاء الأقارب والأصدقاء فأكرمتهم "[٣].

---

(1) تمام حسان : اجتهادات لغوية ، صـ ٥٥.

(2) ينظر : ابن الحاجب ، شرح الكافية ٤٠٢/٢ ، الأشمونى : شرح الأشمونى على الألفية ١٩٩/٢ ، فاضل السامرائي : معاني النحو ٥٧/١.

(3) حسين رفعت حسان : الموقعية في النحو العربي ، صـ ٢٦٧.

" ومن خصائص صيغ الغيبة أنها يمكن أن تأتى بعد تراكم كبير من الإحالات على الكلام السابق"[١] ، إذن يبقى الشرط الأساسي لعود الضمير على أقرب مذكور ألا تكون هناك قرينة تصرفه لضمير لغير الأقرب ؛ إذ القرينة يتوقف عليها الكلام وهى المعوَّل عليها ولها الأفضلية ليس في موضع الضمير فحسب ، وإنما في كل الأحكام النحوية ، فقولك : اعتنيت بغلاف كتاب تخيرته فإن "الضمير يعود على المضاف وهو (غلاف) مراعاة للأكثر ، بخلاف قولك تخيرت غلاف كتاب صفحاته كثيرة ، فالقرينة وهى قولك : (صفحاته) تدل على أن الضمير يعود إلى الكتاب أعنى المضاف إليه"[٢].

إن عدم تقييد (ضمير الغيبة) بمرجعٍ محدد ، أو حصره في قاعدة بعينها وترك المجال فسيحاً أمامه تحكمه القرينة المقامية يبرز أهمية هذا الضمير ، وتميزه عن ضميري المتكلم والمخاطب اللذين يفسرهما وجود صاحبها وقت الكلام ، فهو إمَّا حاضر يتكلم بنفسه ، وإما حاضر يكلمه غير مباشر وقد انتبه الدرس النحوي إلى هذه الميزة منذ مئات السنين فعرض لمرجعية ضمير الغيبة وأثر القرينة فيها " وإن كان الضمير للغيبة فلابد من مرجع يرجع إليه ... فهو إمَّا يعود إلى اسم سبقه في لفظه ، وهو الأصل مثل " الكتاب أخذته " ، وإما أن يعود إلى متأخر عنه لفظاً متقدم عليه رتبة (أي بحسب الأصل) ، مثل : " أخذ كتابه زهير " المتأخر لفظاً ، وهو في نية التقديم باعتبار رتبته لأنه فاعل"[٣] وإمَّا أن يعود إلى مذكور قبله معنى لا لفظاً ، نحو : اجتهد يكن خيراً لك ، فالضمير يعود إلى الاجتهاد المفهوم من " اجتهد " ، وإما أن يعود إلى غير مذكور لا لفظاً ولا معنى إن كان سياق الكلام يعنيه كقوله تعالى : (وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ) (هود : ٤٤) ، فالضمير يعود إلى سفينة نوح المعلومة من مقام القول ، وعلى العموم فالضمير يعود إلى

(1) براوين ويول : تحليل الخطاب ، صـ ٢٣٩.

(2) عباس حسن : النحو الوافي ٢٥٦/١.

(3) مصطفى الغلايني : جامع الدروس العربية ٩٥/١.

أقرب مذكور في الكلام ما لم يكن الأقرب مضافاً إليه فيعود إلى المضاف ، وقد يعود إلى المضاف إليه إن كان هناك ما يعنيه ، وعوده إلى البعيد لا يكون إلا بقرينة دالة عليه"[1].

- وتنقسم المرجعية اللغوية لضمير الغائب في القرآن الكريم إلى :

أ) مرجعية محدودة : وهى المرجعية التي لا تحتمل أكثر من وجه ، وتوزعت في السورة كالتالي :

١- الله (جل وعلا) في المواضع الآتية :

- (وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ) (الجن : ١٩)
- (وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا) (الجن : ٢٠)
- (وَلَن أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا) (الجن : ٢٢)
- (إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ) (الجن : ٢٣)
- (عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا...) (الجن : ٢٦)
- (إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ...) (الجن : ٢٧)
- (لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا) (الجن : ٢٨)

٢- (الجن) في المواضع الآتية :

- (ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟) (الجن : ١)
- (فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا) (الجن : ٩)

٣-(الأنس) في الموضع الآتي :

[1] ينظر : مصطفي الغلاييني : المرجع نفسه ، حسن رفعت حسن : الموقعية في النحو العربي ، صـ ٢٦٦.

- (وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا) (الجن : ١٠)

٤- **(الإنس والجن) في الموضعين الآتيين :**

- (فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا) (الجن : ١٣)

- (فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا) (الجن : ١٤)

٥- **(السماء) في الموضعين الآتيين :**

- (وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا) (الجن : ٨)

- (وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ ...) (الجن : ٩)

ب) مرجعيات غير محددة : وفيها احتمل ضمير الغائب لأكثر من مرجع ، حيث صلح الضمير لكل منها ، وذلك في المواضع الآتية :

١) قوله تعالى : (يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ) (الجن : ٢)

اختلف المفسرون حول مرجعية الضمير (الهاء) في (به) على قولين :

- الأول : أنه يعود إلى القرآن ؛ لأن القرآن يهدى إلى مراشد الأمور[(١)].
- الآخر : يعود إلى الله (جل وعلا) ؛ لأن قوله (بربنا) يفسره[(٢)].

والعلاقة – فيما أرى – بين مرجعي الضمير (علاقة استلزام) ؛ لأن الإيمان بالله – جل وعلا يستلزم الإيمان بكتابه الكريم ، كما أن الإيمان والتصديق بالقرآن يستلزم الإيمان بمن أنزله (والله أعلم) ، والقرينة السابقة على الضمير (أنا سمعنا قرآنا عجباً) والقرينة اللاحقة له (ولن نشرك بربنا أحداً) تسوغ الجمع بين عائدي الضمير.

---

(1) ينظر : الزمخشرى ، الكشاف ٢٢٤/٦ ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١٥٣٨/١ ، البيضاوي : أنوار التنزيل ٢٥١/٥ ، الآلوسي : روح المعاني ٨٤/٢.

(2) ينظر : النسفي ، مدارك التنزيل ٥٨٤/٣، الآلوسي ، روح المعاني ٨٤/٢٩.

٢) قوله تعالى : (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) (الجن:٦) لا خلاف بين المفسرين حول مرجعية ضمير الغائب إلى الإنس في (يعوذون) في حين اختلفوا حول مرجعية في (فزادوهم) على رأيين :

الأول : أنه يعود إلى (الجن) ، ويكون المقصود : ازدادت الجن عليهم جرأة[١] ، وزاد الآلوسي " زاد الجن العائذين غيًّا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم ، فالضميرأن على عكس ما تقدم"[٢] وفسر القرطبي (الرهق) بالإثم والخطيئة ، أي زاد الجن الإنس باستعاذتهم إثماً وخطيئة[٣].

الآخر : أنه يعود إلى (الإنس) ، ويكون المقصود : أن الإنس زادوا الجن طغياناً بهذا التعوذ حتى قالت الجن : سُدنا الإنس والجن[٤] ، أو زاد الإنس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقاً أي إثماً[٥] ، وذكر الشوكاني الرأيين ولم يرجح أحدهما على الآخر[٦].

والحقيقة أن كلا الرأيين صواب (والله أعلم) والجامع بينهما قرينة الحال ، فقد كان العرب يستعيذون بالجن إذا هبطوا وادياً ، ويقول أحدهم : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه[٧]، فلما رأى الجن منهم ذلك الخوف والضعف تعرضوا لهم بالخيالات فزادوهم مخافة على مخافتهم فكان المقصود بـ (الرهق) الخوف ، أو تمكنوا من قلوبهم ، وحلَّوا فيها محل التعظيم والتقديس فأغروهم

---

(1) ينظر البيضاوي : أنوار التنزيل ٢٥٢/٥ ، أبو حيان ، البحر المحيط ٣٤١/٨ ، ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٥/٢٩.

(2) الآلوسي : روح المعاني ٨٥/٢٩.

(3) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٨٤/٢١.

(4) ابن عطية : المحرر الوجيز ، ص ١٩٠٧.

(5) النسفي : مدارك التنزيل ٥٤٩/٦.

(6) الشوكاني : فتح القدير ، صـ ١٥٣٨.

(7) ينظر: البيضاوي : أنوار التنزيل ٥٥١/٥ ، أبو حيان : البحر المحيط ٣٤٠/٨.

بعبادتهم فزادت الإنس الجن تعظيماً ، وزادت الجن الإنس ذلاً وهواناً ، وقد كفلت القرينة اللفظية هذين المعنيين فهي تدل على (الطغيان / الخوف / الإثم / الكفر / الأذى / الغي / العظمة / السفه) [١] ، وهو ما أشار إليه الطبري بقوله : " وأولى الأقوال : فزاد الإنس الجن بفعلهم ذلك إثماً وذلك زادهم به استحلالاً لمحارم الله"[٢].

٣) قوله تعالى :(وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا) (الجن : ٧)

تعددت إحالة ضمير الغائب في (ظنوا) إلى مرجعين :

الأول : إلى (الجن) على وجه العموم[٣]. ، أو إلى كفار الجن على وجه الخصوص[٤].

الآخر : إلى (الإنس) ، وفيه تعريض بالمشركين بأن فساد اعتقادهم تجاوز عالم الإنس إلى عالم الجن ، وجملة (كما ظننتم) متعرضة بين ظنوا ومعموله"[٥].

والضمير في الآية المباركة تتسع إحالته لتشمل الوجهين ، وينضوي تحته كفار الإنس والجن لأن النبي ﷺ مرسل إلى الثقلين على السواء ، ويقوى هذا الرأي ما ذكره ابن عاشور في هذه الآية : "ويجوز أن تكون من كلام الله تعالى المخاطب به المشركون الذي أمر رسوله أن يقوله لهم" [٦]، والمشركون لفظ عام يشمل مشركي الجن والإنس على السواء ، وهذا الشمول في مرجعية

---

(1) الماوردى : النكت والعيون ٦١١/٦.

(2) الطبرى : جامع البيان ٣٢٢،٣٢٣/٢٣.

(3) ينظر : الزمخشرى : الكشاف ٦٢٤/٤ ، البغوي : معالم التنزيل ٢٣٩/٨.

(4) الطبرى : جامع البيان ٣٢٦/٢٩.

(5) ينظر : ابن عطية : المحرر الوجيز ص ١٩٠٧ ، الآلوسي : روح المعاني ٨٦/٢٩ ، ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ص ٢٢٥،٢٢٦.

(6) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ص ٢٢٦.

ضمير الغيبة هو الذي حدا ببعض المفسرين بذكر الوجهين دون ترجيح لأحدهما على الآخر"[١].

٤ـ قوله تعالى :(وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) (الجن : ١٦،١٧) اشتملت الآيتان المباركتان على سبعة ضمائر للغيبة في الكلمات (استقاموا / لأسقيناهم / لنفتنهم / فيه / يعرض / ربه يسلكه) وتعددت المرجعيات اللغوية لبعض هذه الضمائر على النحو الآتي :

استقاموا : اختلف المفسرون حول مرجعية الواو على أقوال :

الأول : أنها تعود إلى الفاعل في قوله تعالى (فمن أسلم) [٢] ، ويكون المقصود الخلق كلهم بما فيهم الجن والإنس.

الثاني : أنها تعود إلى الجن والإنس ، ويكون المعنى حينئذ استقام الجن والإنس على طريقة الإسلام[٣].

الثالث : أنها تعود إلى القاسطين في قوله تعالى :(وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) (الجن: ١٦) دون اعتبار القيد بأنهم من الجن ، وهو من عود الضمير إلى اللفظ أو يجوز أن يكون عائداً إلى غير مذكور في الكلام ولكنه معروف من المقام ؛ إذ السورة مسوقة للتنبيه على عناد المشركين وطعنهم في القرآن ، وضمير (استقاموا) عائد إلى المشركين ولا يناسب أن يعاد إلى القاسطين من الجن ؛ إذ لا علاقة للجن بشرب الماء[٤].

---

(1) ينظر : الشوكاني : فتح القدير ٤٠٤/٥ ، السمين الحلبي : الدار المصون ٤٨٩/١٠.

(2) أبو حيان : البحر المحيط ٣٤٤/٨.

(3) الزمخشرى : الكشاف ٦٢٨،٦٢٩/٤.

(4) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٣٨/٢٩.

الرابع : أنها تعود إلى (الكفار) ، ويكون المعنى : أن استقام الكفار على طريقة الكفر فكانوا كلهم كفاراً ، لأوسعنا أرزاقهم مكراً بهم واستدراجاً فنعذبهم في الدنيا والآخرة [١].

الخامس : أنها تعود إلى (إبليس) ، ويكون الضمير عائداً إلى المفرد ، على اعتبار الأصل ف (إبليس) أبو الجن ، ويكون المقصود : لو استقام أبوهم على عبادته وسجد لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم[٢].

وقد ساهمت الدلالات المتعددة لكلمة (**الطريقة**) في قوله تعالى : " وألو استقاموا على الطريقة " في تعدد الإحالة اللغوية للضمير في (استقاموا) ؛ لأن الاستقامة على الطريقة نوعأن :إما أن تكون الاستقامة على طريق الكفر والضلال ، أو الاستقامة على الهدى والطاعة[٣].

لأسقيناهم ماءً غدقاً : يأتي ضمير الغيبة الواقع مفعولاً به ليلقى بظلال دلالية نابعة من لفظة (السقاية)، وتتعلق هذه السقاية بما سبقها من استقامة ، وتبقى عمومية الخطاب أو خصوصية مناط الحكم في مرجعية الضمير فضلاً عن خروج الماء من دلالته الأصيلة إلى دلالة المعنى وهو الخير والبركة والنماء ، ومن ثم فقد احتمل الضمير مرجعين :

الأول : يكون الماء فيه بمعناه الأصيل (المطر) ، وسياق الحال يحتمل هذا الوجه ، فقد رفع الله المطر عن كفار قريش سبع سنين حتى كادوا أن يهلكوا ، ويعود الضمير في هذه الحال إلى قريش دون غيرها لتكون سقاية الماء إما خيراً لهم أن استقاموا على طريق الحق أو شراً لهم واستدراجاً من الله أن استقاموا على طريق الضلال والكفر[٤].

الآخر : يكون الماء فيه بمعناه المجازى (الخير والبركة والنماء) وسعة الرزق ، وضرب الماء الغدق مثلاً ؛ لأن الخير والرزق كله في المطر ، والضمير بهذا المدلول يشمل الجن والإنس

---

(1) الشوكاني : فتح القدير ٤٠٨/٥.

(2) ينظر الزمخشرى : الكشاف ٦٢٩/٤ ، أبو حيان : البحر المحيط ٣٤٤/٨ ، و الشوكاني : فتح القدير ٤٠٨/٥.

(3) الماوردي : النكت والعيون ، صـ١١٦،١١٧.

(4) ينظر : الماوردى : النكت والعيون ، صـ ١١٧ ، السعدي : تيسير اللطيف المنان ، ص ١٨٩٤.

والمؤمنين والكافرين على السواء ؛ لأن الجن لا تشرب الماء فجاز أن يشملهم الضمير في هذا الوجه[١].

وعمومية مدلول الماء على الخير والنماء – فيما أظن – أولى من الاقتصار على مراد لفظه ومن ثم فإن ترك مجال الضمير شاملًا للجميع ـ دون استثناء ـ هو الأولى لما ينتجه ذلك من ثراء وتعدد لطاقة الضمير التأثيرية (والله أعلم).

" **لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه** " : تلتقي إحالة ضمير الغيبة في " لنفتنهم " مع إحالة الضمير في (لأسقيناهم) ، ويحتمل الضمير في (فيه) مدلولي الماء (الحقيقي والمجازى) كما يشمل الضمير المستتر في (يعرض) جنس المعرضين من الجن والإنس على حد سواء ، ولا خلاف بين المفسرين حول مرجعية ضمير الغائب في (ربه) إلى الله – جل وعلا[٢].

" **يسلكه عذاباً صعداً** " قرأ الكوفيون " يسلكه " بياء الغيبة ، وفيها يعود الضمير إلى الرب تبارك وتعالى بينما قرأ السبعة الباقون بنون العظمة (نسلكه) على الالتفات ، مثل قوله تعالى : (سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ) (الإسراء :١) ، ثم قال : (ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ) "[٣] (الإسراء :

١) ولا تختلف الإحالة في الحالين في شيء سوى تعظيم الرب – جلا وعلا.

وربما يكون الالتفات – والله أعلم – لمناسبة سياق الجمع في الآية (استقاموا / لأسقيناهم / لنفتنهم) بالإضافة إلى (مَن) التي تفيد العموم والشمول ، ومن ثَم تأتى قراءة (نسلكه) لتلتقي مع السياق اللفظي للآية المباركة حيث نون الجمع المفيدة الجمع لفظًا والتعظيم دلالةً ، وتأتى قراءة (يسلكه) لتناسب الضمير الأقرب في (ربه) – والله أعلم ويلاحظ أن هذه الآية المباركة تمثل مقصد النص حيث اتسعت فيها مرجعيات الضمائر لتشمل الإنس والجن وطريقة الكفر

---

(1) البغوي : معالم التنزيل ٢٤١/٨.

(2) الشوكاني : فتح القدير ٣٠٩/٥،٣٠٨.

(3) السمين الحلبي : الدر المصون ١٢٣/١٤.

والإيمان وعاقبة الكفر في الدنيا والآخرة ، وتشكل فيها الضمائر شبكة دلالية مستقلة عن بنية السورة على النحو الآتي :

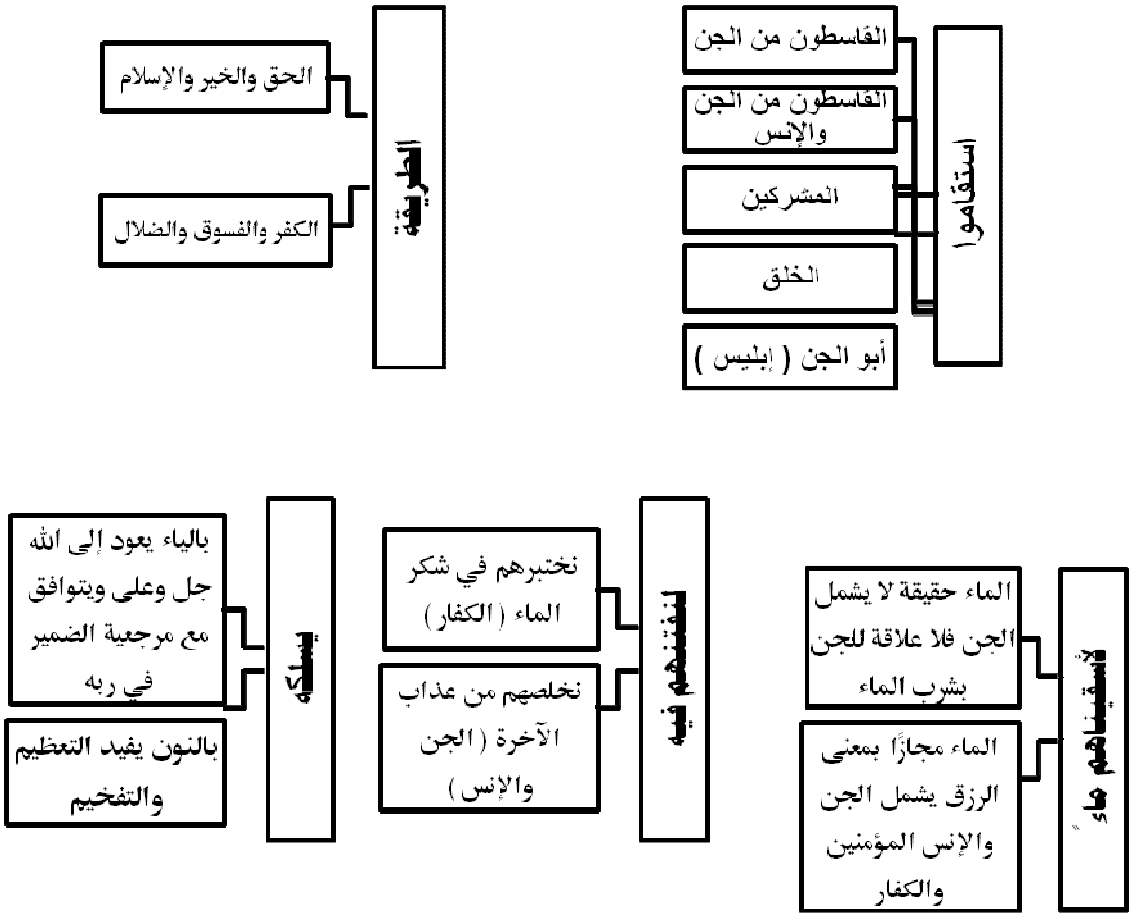

* **قوله تعالى :(<u>كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا</u>) (الجن : ١٩)**

انصرفت ضمائر الغائب في (كادوا/ يكونون/عليه) إلى أكثر من مرجع على النحو التالي :

(**كادوا / يكونون**) يعود الضمير فيهما إلى المشركين المنبئ عنهم المقام غيبة وخطاباً و ابتداءً من قوله : " وألو استقاموا " ، وبهذا يعود الضمير في (عليه) إلى الرسول ﷺ ، ويكون المعنى أن مشركي قريش أرادوا منعه ﷺ من الدعوة إلى الله[١].

(**كادوا / يكونون**) الضمير فيهما يعود إلى المؤمنين ، وذلك على قراءة نافع بكسر همزة (إن) فتكون الجملة " من كلام الجن معطوفة على جملة (إنا سمعنا) حكوا فيها لقومهم لما رجعوا إليهم ما رأوا من صلاته ﷺ وازدحام أصحابه (عليه) في ائتمامهم به " [٢].

(**كادوا / يكونون**) " يعود الضميرأن في " كادوا / يكونون " إلى مشركي الجن والإنس على السواء ، و الهاء في " عليه " تعود إلى الإسلام ، والآية بهذا التوجيه للضمائر تكشف عن عداوة كفار الجن والإنس لدعوة الإسلام ، ويكون المعنى أنهم تلبدوا على هذا الأمر ليطفؤه" [٣].

والضميران في (**كادوا / يكونون**) يصلحان لكل الأوجه السالفة ؛ إذ لكل وجه قرينة حالية تؤيده فالكفار من الجن والإنس تواطؤا على طمس هذا النور ، والمسلمون تواطؤا وتسابقوا إلى الإيمان به ، والجن تلبدوا عليه ﷺ وركب بعضهم بعضاً وهم يستمعون ، والهاء في " عليه " تختلف مرجعيتها باختلاف مدلول الضميرين في " كادوا / يكونون " فإن انصرفا إلى الذوات (الجن / الإنس) انصرف الضمير في (عليه) إلى الذات (الرسول ﷺ) وإن انصرفا إلى وصف الحال ، انصرف الضمير بالتبعية إلى حالة الرسول ﷺ وهى (تبليغ الإسلام / تلاوة القرآن) والله أعلم.

* (وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) (الجن : ٢٣)

تعددت المرجعية اللغوية لضمير الغيبة في (رسوله) إلى وجهين :

<u>الأول</u> : الرسول ﷺ ويكون المعنى : من يكذب الله ورسوله فأن له نار جهنم[٤].

---

(1) ينظر : أبو حيان : البحر المحيط ٣٤٥/٨ ، ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٤٢/٢٩.

(2) ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ٣٤٥/٨ ، الآلوسي ، روح المعاني ٩٢/٢٩.

(3) الماوردي ، النكت والعيون ١٢٠/٦.

(4) الطبرى : جامع البيان ١٢٢/٢٩ ، ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٤٥/٢٩.

الآخر : جبريل – عليه السلام[١].

ولفظة " الرسول " تحتمل الوجهين ، فجبريل – عليه السلام – رسول السماء لرسول الأرض وعود الضمير إليه له ما يؤيده ، فهو معروف لدى المشركين وهو عدوهم من الملائكة وقد ذكر القرآن ذلك حين خصه بالذكر في قوله تعالى :(قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ) (البقرة : ٩٧) ، كما أن الرسول ﷺ معلوم لديهم أيضاً يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

* قوله تعالى : (عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا) (الجن : ٢٦)

تعددت المرجعية اللغوية لضمير الغيبة في قوله (غيبه) على النحو الآتي :

الأول : الغيب (السر / كل ما غاب / القرآن / القيامة)[٢].

الآخر : الغيب ما غاب عن العباد ، ويشمل الوقائع المستقبلية ، وإيثار المصدر هنا لأنه أشمل لإحاطة علم الله بجميع ذلك[٣].

ومرجعية الضمير تشمل كل ما سبق ، وإنما كان القرآن من أقسام الغيب – والله أعلم – لأن الوحي قبل أن ينزل به جبريل ـ عليه السلام ـ يكون غيباً حتى يأذن الله بكشفه لرسوله ﷺ.

* قوله تعالى :(إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا) (الجن:٢٧) فالضميران في قوله تعالى : (يديه / خلفه) يعودان بصورة مباشرة إلى لفظة (الرسول) التي تحتمل مدلولين ...

---

(1) الآلوسي : روح المعاني ٩٣/٢٩.

(2) ينظر الماوردى : النكت والعيون ١٢٢/٦ ، أبو حيان : البحر المحيط ٣٤٨/٨.

(3) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٤٧/٢٩ ، ٢٤٨.

الأول : أن يكون المقصود (الرسول ﷺ) ، ويكون المعنى أن الله أيد الرسُل بما لم يؤيد به غيرهم وحفظ ما أوحاه إليهم بحفظه ـ جل وعلا ـ حتى يبلغوه على حقيقته من غير أن تقربه الشياطين فيزيدوا فيه أو ينقصوا[١] ، وعلى هذا فقد أفرد اللفظ في (يديه / خلفه) مراعاة للإفراد في (رسول) ثم جاء بضمير الجمع في (أبلغوا) مراعاة للمعنى وهو الجنس أى (الرسُل) [٢].

الآخر : أن يكون المقصود بـ (الرسول) جبريل – عليه السلام – " ويكون المراد أن الله جعل بين يدي الوحي وخلفه حرساً من الملائكة يحوطونه من أن تسترقه الشياطين ويلقونه إلى الكهنة " [٣].

* قول الله تعالى : ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ (الجن : ٢٨)

تعددت المرجعيات اللغوية لضمائر الغيبة في (ليعلم / أبلغوا / لديهم) وذلك على النحو الآتي :

١) يعلم : أي الجن والإنس أن الرسل أُبلغت بما رجوا من استراق السمع [٤].أو ليعلم محمدُ – ﷺ – أنه قد أبلغ رسالة ربه[٥]، أو ليعلم محمدُ – ﷺ – أن جبريل عليه السلام قد أبلغ رسالة ربه[٦]،أو ليعلم محمدُ – ﷺ – أن الرسل قبله قد بلغت رسالات الله وحفظت[٧]، أو ليعلم الجن أن الرسل قد بلَّغوا ما أنزل الله عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع

(1) ينظر : الشوكاني : فتح القدير ١٥٤٤ ، السعدي : تيسير الكريم المنان ، ص ١٨٩٥ ، ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٤٨/٢٩.

(2) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٤٨/٢٩.

(3) ينظر : الشوكاني : فتح القدير ١٥٤٤ ، الماوردى : النكت والعيون ١٢٣/٦.

(4) الفراء : معاني القرآن ١٩٦/٣.

(5) السابق نفسه.

(6) ينظر : الماوردى : النكت والعيون ١٢٣/٦ ، البغوي : معالم التنزيل ٢٤٤/٨.

(7) الماوردى : النكت والعيون١٢٣/٦.

عليهم[١]، أو ليعلم الله أن رسله قد بلغوا عنه رسالاته لأنبيائه[٢]، أو ليعلم (محمد ﷺ / إبليس / المشركون / الملائكة) وهو ضعيف ؛ لإفراد الضمير[٣] ، أو ليعلم (إبليس) أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم من غير تخليط[٤].

وقرأها يعقوب بضم الياء (ليُعلم) أي الناس أن الرسل أبلغوا[٥].

كما انصرفت مرجعية الضمير في (**لديهم**) إلى وجهين[٦]:

الأول : إلى الرصد من الملائكة الذين يحفظون الوحي.

الآخر : إلى الرسل المبلغين لرسالاته – جل وعلا.

كما انصرفت مرجعية الضمير في (أبلغوا) إلى وجهين[٧]:

الأول : إلى الرصد من الملائكة.

الآخر : إلى من ارتضى من رسول.

وقد أسهمت تعدد مرجعية الضمير في (يعلم) في تعدد المرجعية في (أبلغوا) وإنتاج أكثر من صورة دلالية ، وذلك على النحو الآتي :

---

(1) السابق نفسه .

(2) السابق نفسه.

(3) السمين الحلبي : الدر المصون ١٣٢/١٤.

(4) الشوكاني : فتح القدير ١٥٤٦.

(5) البغوي : معالم التنزيل ٢٤٤/٨.

(6) الشوكاني : فتح القدير ١٥٤٦.

(7) الآلوسي : روح المعاني ١٠٠/٢٩.

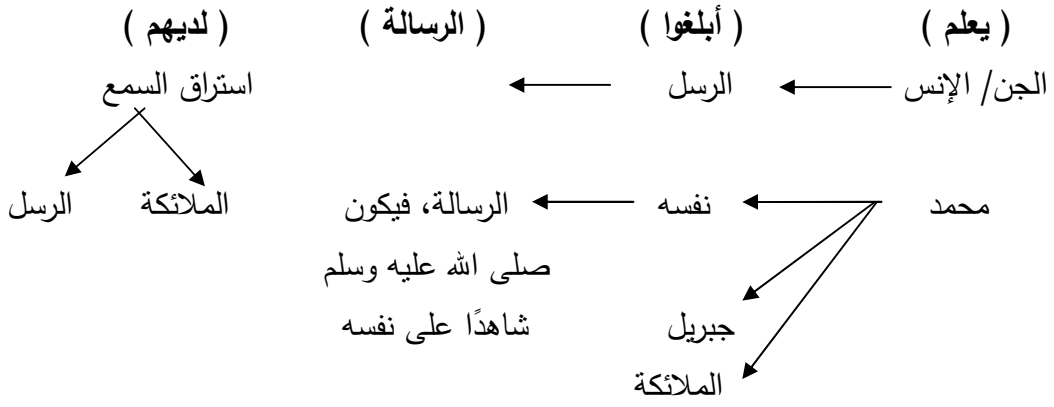

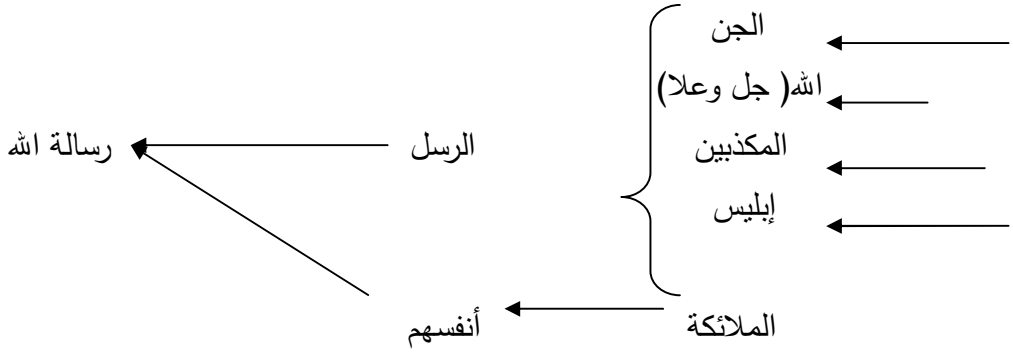

*** الالتفات في سورة الجن** :

أثمر تداخل الضمائر وتعدد مرجعياتها اللغوية في سورة الجن المباركة عن نسج شبكة دلالية قامت عليها أحداث السورة ، ومن العلاقات التي نشأت بين الضمائر علاقة " الالتفات " في بعض المواضع ، وقد أفصحت عنها بعض القراءات القرآنية لهذه السورة لتقيم بدورها شبكة جديدة من الدلالات وتفتح للنص أفقاً رحباً من التجلي والإبداع الذي لم يقتصر على تعدد المرجعية

اللغوية للضمائر ولكنه تعدى إلى الانتقال والتنوع الأسلوبي على مستوى الجملة ليأتي المدلول على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع[١].

والالتفات بمدلوله اللغوي يحمل معنى : الصرف ، ومنه : " لفته عن رأيه (لفتاً) إذا صرفته عنه..." [٢]، ويشير بمدلوله الاصطلاحي إلى : التحول من معنى إلى آخر أو عن صيغة إلى غيرها أو عن أسلوب إلى آخر "[٣] أو " التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التي هي : التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق من الطرق الثلاثة بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع "[٤].

- **فوائد الالتفات :**

يعد الالتفات من أساليب البلاغة التي ينتج عنها التفنن والتنوع في الجمل والتعابير ويقيم علاقة دلالية بين أطراف النص فيرتقى بالتركيب اللغوي من الدلالة السطحية إلى دلالة أعمق تنتج عن الانحراف المعياري والعدول التركيبي الذي يتكئ عليه ، فضلاً عن الأثر المباشر الذي يعترى المتلقي لخروج النص عن مقتضى التركيب ، يقول الزمخشري : " الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب ، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء ليه من إجرائه على أسلوبٍ واحد"[٥] ،وهذه الفائدة التي أوردها الزمخشرى للالتفات فائدةٌ عامة، ويبقى لكل نصٍ فوائده الخاصة التي يحققها الالتفات وأسراره الدلالية التي تبوح بها هذه الظاهرة بأثر من التنوع الضميري ، فالالتفات مستوى بلاغي للنص يتكئ على المستوى النحوي له .

---

(1) أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ٢٩٤/١.

(2) ينظر : ابن منظور : لسان العرب (لفت) ٨٤/٢ ، دار صادر ، بيروت ، الزمخشرى : أساس البلاغة (لفت) دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت.

(3) فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظري دراسة تطبيقية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، صـ ٢٢٣.

(4) أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢٩٤/١.

(5) الزمخشرى : الكشاف ٥٦/٢.

صور الالتفات في (سورة الجن) وفوائده :

أولاً : الالتفات بين الصيغ : من (المزيد إلى المجرد):

ورد الالتفات من المزيد إلى المجرد في صيغة (سمع) في قوله تعالى : (قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا) (الجن :١) ، حيث وردت لفظة (استمع) مزيدة بحرفين في أول الآية ، ثم وردت مجردة (سمعنا) ولم يتعرض أحد من المفسرين – فيما وقفت – لذكر الالتفات في هذا الموضع ، وهو لون دقيق من الالتفات يتحقق كلما تخالفت صيغتان في نسقٍ واحد من مادة معجمية واحدة[1]. ولعل السر في هذا الالتفات أن صيغة (استمع) وما تنطوي عليه من الدلالة على قوة الإصغاء والمبالغة فيه تلتقي مع حالة الجن الذين صادفوا هذا البيان الرباني للمرة الأولى فبهرهم بما فيه من إعجاز وفصاحة ، ولكنهم لما انقلبوا إلى قومهم لم يخبروهم بهذا الذكر وبتلك الآيات بعينها ولكنهم أخبروهم بمضمونه ، ودليل ذلك قوله تعالى : (وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ) (الأحقاف : ٢٩، ٣٠) فعبر عن حالة الحضور بـ (استمع) وعن حالة الحكي والقص بـ (سمع) ، فناسب ذلك الزيادة في المبنى في الصيغة الأولى والتجرد في الأخرى (والله أعلم).

ب) الالتفات من المجهول إلى المعلوم (أريد / أراد):

[1] حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص ٥٦ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م.

- قوله تعالى : (وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) (الجن :١٠) ، حيث التفت من البناء للمجهول (أريد) إلى المعلوم (أراد) ، وقيمة الالتفات بيان أدبهم إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى ، والشر حذفوا فاعله تأدباً مع الله[١].

جـ) الالتفات من المصدر إلى الفعل (السمع / يستمع) :

- قوله تعالى: (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا) (الجن : ٩) ، فقد التفت السياق في الآية الكريمة من المصدر (السمع) إلى الفعل (يستمع) ويدل الالتفات على حالة الجن قبل بعثة النبي ﷺ – حيث كانوا يسترقون السمع لأخبار السماء التي كانت خالية من الحرس والشهب قبل البعث[٢] بقرينة الزمن الماضي في (كُنا) ، فلما بعث الله رسوله ﷺ مُنعوا ذلك ، وورد الفعل (يستمع) في سياق الشرط ؛ لأن الغرض تحذير إخوانهم من التعرض للاستماع ؛ لأن المستمع يتعرض لأذى الشهب[٣].

كما أفاد الالتفات من صيغة الاسم للفعل دلالة أخرى بالإضافة إلى الدلالة على الفارق الزمني الذي أظهرته القرينتان (كنا / الآن) ، وهى دلالة تتفق مع خصوصية كل منهما فإذا كان الاسم يستلزم ثبات المعنى للشيء دون تجدد ، والفعل المضارع يقتضى تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء[٤] فإن الفعل (يستمع) يدل على معاودة الجن مرة بعد الأخرى لاسترق السمع من السماء حتى بعد أن توعدهم القرآن بالشهب الراصدة ، قال ابن عاشور " والجن لا تنكف عن ذلك لأنهم منساقون إليه بالطبع مع ما ينالهم من أذى الرجم والاحتراق ، شأن انسياق المخلوقات إلى

---

(1) ينظر : السعدي : تيسير الكريم المنان ، صـ ١٨٩٣ ، ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٣١/٢٩.

(2) النسفي : مدارك التنزيل ٥٥٠/٣.

(3) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٢٩/٢٩.

(4) حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص ٨٦.

ما خلقت له مثل تهافت الفراش على النار لاحتمال ضعف القوة المفكرة في الجن بحيث يغلب عليها الشهوة"[١].

ثانيا : الالتفات في العدد:

أ) بين الإفراد والجمع :

ـ في قوله تعالى : (وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا) (الجن : ١٧) حيث قرئت بالنون مضمومة ومفتوحة (نسلكه) [٢]. وفائدة الالتفات بيان التخويف والترهيب من سوء العاقبة.

ـ قوله تعالى : (وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا) (الجن : ٢٣) حيث ورد الالتفات من الإفراد في (له) إلى الجمع في (خالدين) ، والجمع باعتبار معنى (من) والإفراد في (له) باعتبار (اللفظ) [٣]. وفائدة الالتفات بيان الترهيب والتحذير من عصيان الله ورسوله.

ثالثاً : الالتفات في الضمائر :

أ ـ بين الغيبة والتكلم.

ـ قوله تعالى :(لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا) (الجن : ١٧) حيث ورد الالتفات من ضمير الغائب في (يعرض) إلى المتكلم في (نسلكه).

وربما أفاد الالتفات هنا – والله أعلم – الانتقال من المعنوي إلى الحسي ، لأن الإعراض من الأمور المعنوية ، بينما (نسلكه) تقتضى المشاهدة والمعاينة وقد قيدت بالمفعول والصفة (عذاباً صعداً) أي شاقاً ؛ لأنه يتصعد المعذب ، أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ، قال عكرمة :

---

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٢٩/٢٩.

(2) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ٣٩٢/٢.

3) النسفي : مدارك التنزيل ٥٥٣/٣.

الصعد هو صخرة ملساء في جنهم يكلف صعودها ، فإذا انتهى إلى أعلاها حدر إلى جهنم ، كما في قوله تعالى (سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا) (المدثر : ١٧) ، والصعود : العقبة الكئود[١].

وهذه النكات الرائعة في الأسلوب القرآني أثمرها الالتفات فيه ؛ لأن اتساق الكلام وجريان على النمط المألوف لا يتطلب إعمال فكر ، ولكن الخروج عن النسق يتطلب مزيداً من التدقيق وإطالة النظر لاستجلاء المراد وبيان المقصود.

نتائج البحث

١) تميزت سورة الجن بكثرة الضمائر فيها وتعددت مرجعياتها الإحالية ، حيث بلغ عدد الضمائر في السورة مائة واثني عشر ضميرًا ، أسهمت في نسج شبكة من العلاقات الدلالية داخل النص وخارجه.

٢) خضعت المرجعيات اللغوية في السورة المباركة للقيود الدلالية في المقام الأول ، واحتل القيد النحوي المرتبة الثانية ، وهو ما يؤكد اعتناء النص القرآني بالأثر الدلالي عناية تفوق الصناعة النحوية ، ليصبح النحو خادمًا للدلالة في النص .

٣) اختلف المفسرون حول كثير من مرجعيات الضمائر في السورة وهو اختلاف تنوع واجتهاد واستدل كل منهم بدليل يوافق ما ذهب إليه ويتحمله النص القرآني.

٤) أدى ضمير الشأن وظيفته الأصلية في سورة الجن ، حيث اختص وروده بذكر الأحداث العظيمة ، واختلفت مرجعياته حال ذكره عن مرجعياته حال حذفه.

٥) انقسمت مرجعيات ضمير الغيبة في سورة الجن إلى (محددة / غير محددة) وتولى السياق مهمة الكشف عن هذه المرجعيات.

[1] الشوكاني : فتح القدير ، ص ١٥٤١.

٦) عاد الضمير في كثير من آيات السورة المباركة إلى غير مذكور في الكلام بأثر من قرينة السياق الدالة على هذا المحذوف.

٧) ارتبط عود الضمير في سورة الجن بموضوعات أخرى ، مثل تنوع الخطاب القرآني وشموليته والتوسع في المعنى.

٨) التقت مرجعيات كثير من الضمائر في نقطة مركزية واحدة شكلت البؤرة الأساسية للسورة المباركة مثل (عقيدة التوحيد / نبوة الرسول ﷺ).

٩) حققت الضمائر نوعًا من الاقتصاد اللغوي في السورة المباركة ، حيث أغنى ذكرها في مواضع كثيرة عن ذكر مرجعها ، وهذا الاقتصاد أفسح مجالات متعددة لطاقتها التأثيرية التعبيرية .

١٠) ظهرت بعض صور الالتفات في سورة الجن ، وأسهمت القراءات القرآنية بالنصيب الأوفر في بيان مواضع الالتفات في السورة.

١١) أدى الالتفات بين الصيغ والأعداد والضمائر إلى استنباط دلالات جديدة في خطاب السورة المباركة.

المصـادر والمراجـــع

*** القرآن الكريم .**

١) أوزوالد ديكروجان مارى : القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسانيات ، ترجمة منذر عياش ، ط٢ ، المركز الثقافي ، المغرب ، ٢٠٠٧م.

٢) الأشموني : شرح الأشموني على الألفية ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ناصر خسرو ، ط١ ، قم ، إيران (د.ت).

٣) أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤) الأزهري : شرح التصريح بمضمون التوضيح ، تحقيق أحمد السيد سيد أحمد ، وإسماعيل عبد الجواد عبد الغنى ، المكتبة التوفيقية ، مصر (د.ت).
٥) الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د.ت).
٦) البغوي : معالم التنزيل ، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين ، دار طيبة للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٢هـ.
٧) البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق الشيخ عبد القادر عرفان العشا حسونة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م.
٨) تمام حسان : اجتهادات لغوية ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٩) ـــــــــ : الخلاصة النحوية ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م.
١٠) ـــــــــ : اللغة العربية معناها ومبناها ، ط٥ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.
١١) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، اشرف على تصحيحه على محمد الضباع ، دار الفكر ، بيروت (د.ت).
١٢) ابن جني : اللمع في العربية ، تحقيق حامد المؤمن ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٨٣م.
١٣) ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١٤) حسن شاهر : علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية ،ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمأن ٢٠٠١م.
١٥) حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
١٦) حسين رفعت حسان : الموقعية في النحو العربي ، دراسة سياقية ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
١٧) أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق مصطفي النماس ، ط١ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٨) ـــــــ : البحر المحيط ، تحقيق صدقي محمد جميل وآخرين ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.
١٩) الرازي : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، ط١ ، دار الفكر للطباعة ،القاهرة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٠) رضي الدين الإستراباذي : شرح كافية ابن الحاجب ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق ، إيران ١٩٧٨م.
٢١) روبرت شولز : السيمياء والتأويل ، ترجمة سعيد الغانمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٤م.
٢٢) الزمخشرى : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، أساس البلاغة ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت (د.ت).
٢٣) ابن السراج : الأصول في النحو ، تحقيق الحسين الفتلى ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.
٢٤) السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.
٢٥) سعيد بحيرى : علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) ، ط١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان) ، مكتبة لبنان ناشرون ، القاهرة ، ١٩٩٧م.
٢٦) سعيد الغأنمي : أقنعة النص ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١م.
٢٧) السمين الحلبي : الدار المصون في علون الكتاب المكنون ، تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.
٢٨) سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م.
٢٩) السيوطي : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية مصر (د.ت).
٣٠) شوقي ضيف : المدارس النحوية ، ط٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٩٩هـ.

٣١) الشوكاني : فتح القدير ، ضبط وتصحيح أحمد عبد السلام ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٩٩٤م.
٣٢) صفية مطهري : الدلالة الإيحائية في الصيغ الإفرادية ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٣م.
٣٣) الطبري : جامع البيان عن تأويل أى القرآن ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركى وآخرين ، ط١ ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.
٣٤) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م.
٣٥) عباس حسن : النحو الوافي مع ربطة بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، ط١٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.
٣٦) عبد القاهر الجرجاني : المقتصد في شرح الإيضاح ، تحقيق كاظم بحر المرجان ، دار رشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م.
٣٧) ابن عطية : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ١٤٣٢هـ /٢٠٠٢م.
٣٨) ابن عقيل : شرح ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، مطبعة السعادة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م.
٣٩) العكبرى : التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق على محمد البجاوى ، ط٢ ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م.
٤٠) عيد بلبع : التداولية ، البعد الثالث في سيموطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة ط١، بلنسية للنشر والتوزيع ، المنوفية ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م.
٤١) ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر (د.ت).
٤٢) فاضل صالح السامرائي : معاني النحو ، ط١ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م.
٤٣) فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري دراسة تطبيقية، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٤م.
٤٤) الفراء : معاني القرآن ، تحقيق محمد على النجار وآخرين ، دار السرور ، مصر ، ١٩٥٥م.

٤٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق سالم مصطفي البدرى ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠م.
٤٦) الماوردى : النكت والعيون ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).
٤٧) المبرد : المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت).
٤٨) محمد عبد الخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ، (د.ت).
٤٩) مصطفي الغلاييني : جامع الدروس العربية ، ضبط عبد المنعم جليل إبراهيم ، ط٤ ، دار الكتب العلمية ن بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣م.
٥٠) مهدي المخزومي : في النحو العربي نقد وتوجيه ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٦م.
٥١) ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت).
٥٢) النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ط١ ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٥٣) ابن هشام : شرح جمل الزجاجي ، تحقيق على محسن عيسى حال الله ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.
٥٤) ـــ : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، ٢٠٠٤م.
٥٥) ـــ : شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق مازن المبارك وآخرين ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، إيران (د.ت).
٥٦) ابن يعيش : شرح المفصل ، تحقيق إميل بديع يعقوب ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١م.

*** الدوريات**

٥٧) دريد حسن أحمد الصالح : عود الضمير في القرآن الكريم ، مجلة مداد الآداب ، العدد الثاني ، الجامعة العراقية ، بغداد ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
٥٨) عواد كاظم ومسلم هوني : التداخل الدلالي في سورة الجن ، مجلة أوروك للأبحاث الإنسانية ، العدد الثالث ، أيلول ٢٠١٠م.